مركز حرمون
للدراسات المعاصرة
Harmoon Center
For Contemporary Studies

# السويداء.. التجليات السياسية والأمنية والاجتماعية بعد 12 عامًا من الثورة السورية

إعداد: عمر إدلبي
شارك في الإعداد: شادي الدبيسي، سامر سلوم،
علي دالاتي، محمد أحمد خليل

أبحاث سياسية

## مركز حرمون للدراسات المعاصرة:

مركز حرمون للدراسات المعاصرة، مؤسّسة بحثية مستقلة غير ربحية، تُعنى بإنتاج الدراسات والبحوث السياسية والاجتماعية والفكرية المتعلقة بالشأن السوري والصراع الدائر في سورية وعليها، وسيناريوهات المستقبل، كما تهتم بالقضايا العربية والإقليمية.

## إعداد: عمر إدلبي

باحث في قسم الدراسات في المركز، حقوقي و شاعر وصحفي سوري. يدير فريق تقرير الرصد الشهري، رئيس تحرير سابق لموقع حرية برس.

## شارك في الإعداد: شادي الدبيسي، سامر سلوم، علي دالاتي، محمد أحمد خليل

# السويداء.. التجليات السياسية والأمنية والاجتماعية بعد 12 عامًا من الثورة السورية

سبتمبر/ أيلول 2023

# المحتويات


مقدمة ..... 5

أولًا: الأوضاع السياسية في السويداء قبل الثورة السورية 2011 ..... 7

ثانيًا: واقع السويداء بعد انطلاق الثورة السورية ..... 10

بدايات حراك ثوري متردد ..... 10

انقسام السويداء حيال الثورة وحياد باهظ الثمن ..... 11

المقاومة المسلحة في صفوف أهالي السويداء ..... 13

الواقع الاجتماعي والمعيشي والخدمي في السويداء عقب ثورة 2011 ..... 14

الأوضاع الأمنية ومدى سيطرة النظام السوري في السويداء ..... 16

نتائج تردي الأوضاع الأمنية والمعيشية ..... 20

ثالثًا: الأدوار الإقليمية والدولية في السويداء ..... 25

الوجود الإيراني في السويداء خلال العقد الأخير ..... 25

النفوذ الروسي في السويداء ..... 26

الدور الإسرائيلي - الشيخ موفق طريف ..... 26

الدور الأميركي في السويداء ..... 26

دور الأطراف اللبنانية الدرزية المؤثرة في السويداء ..... 27

رابعًا: القوى المحلية الفاعلة في السويداء ..... 28

القوى المدنيّة في السويداء ..... 28

القوى المحلية المسلحة في السويداء ..... 30

خامسًا: حياد السويداء ومسألة الامتناع عن الخدمة العسكرية ..... 33

سادسًا: مشروع الإدارة الذاتية في السويداء ..... 34

خاتمة ..... 35

# مقدمة

أدّى سكان محافظة السويداء دورًا فاعلًا في التاريخ السوري الحديث، ابتداءً من مرحلة الانتداب الفرنسي على سورية، مرورًا بالتحوّلات السياسية الأساسية التي شهدتها الدولة السورية بعد الاستقلال، واستمرّ ذلك الدور إلى أن أحكمَ النظام السوري، في عهد حافظ الأسد ووريثه بشار الأسد، قبضته على الدولة والمجتمع، عبر أجهزته الأمنية ومؤسسات السلطة المختلفة.

وتبرز الحاجة إلى استعراض التجليات السياسية والأمنية والاجتماعية وتحليلها، بعد 12 عامًا من الثورة السورية، مع تصاعد وتيرة الاحتجاجات الشعبية في السويداء، في آب/ أغسطس من العام الجاري 2023، وذلك بغية فهم وتحليل واقع المحافظة وسكانها وقواها السياسية، وتحديد أبرز مراكز القوى المسلحة والمدنية والدينية، ومواقفها من الصراع في سورية، ودور الفاعلين الإقليميين والدوليين، والدوافع الأساسية التي تقف وراء تفجّر الغضب الشعبي ضد النظام السوري، وسياساته الأمنية والاقتصادية والخدمية التي أوصلت سكان المحافظة إلى المجازفة بالتخلي عن مخاوفهم من سطوة النظام وأجهزته الأمنية، وهي المخاوف التي شكلت أبرز أسباب حالة الحياد التي وسمت موقف جلّ أبناء المحافظة من الصراع في سورية، طوال سنوات الثورة.

يعتمد التقرير-بالدرجة الأولى- على رصد ميداني، تولّى القيام به راصدو مركز حرمون، خلال فترة امتدت نحو 4 أشهر، إضافة إلى عدد من المقابلات مع ناشطين وسياسيين وعناصر من المجموعات المسلحة، من أبناء محافظة السويداء، وعدد من المراجع والمقالات والدراسات والمصادر المفتوحة.

## لمحة عن محافظة السويداء:

تقع محافظة السويداء جنوب شرقي سورية، وتبعد عن العاصمة دمشق نحو 125 كم، وتبلغ مساحتها نحو (7000 كم$^2$)، وترتفع عن سطح البحر 1020 مترًا، وتمتاز بجبال بركانية خامدة «جبل العرب»، ويحدّها من الشمال والشرق محافظة ريف دمشق، ومن الغرب محافظة درعا، وتتصل من الجنوب بالمملكة الأردنية الهاشمية. وتقع السويداء في منطقة محدودة الموارد الطبيعية، حيث إن جزءً كبيرًا منها يتشكل من جبال وأراض بركانية واسعة يصعب العيش فيها واستثمارها. وهي ترتبط بطريقين فقط، أحدهما يربطها بدمشق شمالًا، والثاني يربطها غربًا بمحافظة درعا. وقد اضطر كثير من شبابها إلى السفر للعمل في فنزويلا، أو في بلدان مجلس التعاون.

وترجع تسميتها بالسويداء إلى اسم كان يُطلق عليها خلال العصور القديمة (سؤادا) أي المدينة السوداء، وذلك نتيجة طبيعتها البركانية وحجارتها السوداء، وكان يطلق عليها اسم (ديونيزياس) خلال العصور الرومانية والبيزنطية[1].

وتقسَم محافظة السويداء إلى ثلاث مناطق، هي: (شهبا- السويداء- صلخد)، ويتبع لها تسع نواح، وبلغ عدد سكانها، منتصف سنة 2021، (540409 نسمة)[2]، وتتركز المساكن في الأجزاء الغربية منها، وتعيش قبائل بدوية في المنطقة القاحلة في حرّة

(1) انظر تصريح الباحث ورئيس دائرة آثار السويداء الأسبق حسن حاطوم، في تقرير بعنوان: «قديمك نديمك».. معرض توثيقي لشخصيات السويداء وتراثها وآثارها، منشور في موقع صحيفة «العرب»، 6، 2، 2023، https://cutt.us/ZJSxj تاريخ آخر زيارة 11، 6، 2023

(2) المكتب المركزي للإحصاء، المجموعة الإحصائية لعام 2021 جدول رقم 2/4 http://cbssyr.sy/yearbook.htm ، آخر زيارة: 2023/4/1.

الشمّة. والسويداء هي المحافظة السورية الوحيدة التي يشكّل أبناء طائفة الموحدين الدروز أغلبية سكانها، حيث بلغت نسبتهم، بحسب تعداد 1980، نحو 87.6% من سكانها، في حين شكّل المسيحيون، ومعظمهم من الروم الأرثوذكس، نحو 11%، وشكّل المسلمون من أهل السنة نحو 2 %[3].

ويعتمد سكان السويداء على الزراعة التي تشكل مصدر رزقهم الرئيس، ومن أبرز محاصيلها التفاح واللوزيات والعنب، إضافة إلى الشعير والقمح والحمص والعدس، في حين تقتصر الأعمال الصناعية في السويداء على بعض الصناعات التقليدية والتحويلية، مثل السجاد، وبعض الصناعات الغذائية، وتقتصر التجارة فيها على بيع المواد الاستهلاكية ضمن المحافظة.

(3) عدد سكان السويداء 2023، بحر البيانات، على الرابط التالي: https://cutt.us/6Kpu6 ، آخر زيارة: 2023/4/1.

## أولًا: الأوضاع السياسية في السويداء قبل الثورة السورية 2011

شهدت العلاقة بين السويداء وأنظمة الحكم المتعاقبة على سورية أحداثًا عديدة، سياسية وأمنية، نتج عنها حالة من التأزم وعدم الثقة، ولم تظهر الأزمات في فترة حكم الأسد فحسب، بل برزت بوادرها منذ ما قبل الاستقلال عن الانتداب الفرنسي.

وعلى الرغم من خضوع السويداء، كسائر المناطق السورية، للحكم العثماني، لم تتوقف المناوشات بين الأهالي وجيوش السلطنة العثمانية، حتى قيام الثورة العربية الكبرى ضدها عام 1916، وانخراط مقاتلين من أبناء المحافظة في قوات الثورة العربية الكبرى، حيث قاد سلطان باشا الأطرش قوة من المقاتلين رافقت الجيش العربي عند دخوله دمشق، عام 1918.

ثم برزت مواجهات السويداء بقوّة ضدّ الانتداب الفرنسي، على الرغم من أن سلطات الانتداب الفرنسي سعت للتقرّب من أهالي الجبل، وعقدت اتفاقًا مع بعض زعمائه لتشكيل دولة مستقلة «دولة جبل العرب»، تحت إدارة الفرنسيين، عرفت وقتذاك باتفاقية (أبو فخر. دي كيه)[4]، لكن سرعان ما تأزّمت العلاقة بين الطرفين عام 1922، على خلفية حادثة محاولة لجوء «أدهم خنجر»، أحد قادة المقاومة السورية ضدّ الاحتلال الفرنسي[5]، إلى منزل سلطان باشا الأطرش، لكن الفرنسيين عرفوا بأمره قبل وصوله، واعتقلوه بتهمة محاولة اغتيال الجنرال «غورو» في محافظة القنيطرة، الأمر الذي دفع سلطان باشا الأطرش إلى إطلاق سلسلة هجمات ضد القوات الفرنسية، وما لبثت المواجهات أن تصاعدت، بعد قرار تعيين الانتداب الفرنسي الضابط «كاربييه» حاكمًا مؤقتًا لدولة «جبل العرب»، في 15 أيلول/ سبتمبر 1923، فاندلعت احتجاجات شعبية تواصلت حتى خروج تظاهرة حاشدة، في تموز/ يوليو 1925، واجهتها القوات الفرنسية بالقوة، لتنطلق بعدها ثورة شعبية عمّت المناطق السورية، وعقد خلالها مؤتمر وطني عام، في مدينة حمص، ضمّ عددًا كبيرًا من الوطنيين في سورية، حيث أعلنوا سلطان باشا الأطرش قائدًا عامًا للثورة السورية الكبرى. وعلى الرغم من لجوء قائد الثورة سلطان باشا الأطرش إلى الأردن، وانتصار فرنسا وحلفائها في الحرب العالمية الثانية 1945، فقد جدد السوريون محاولاتهم التخلّص من الانتداب الفرنسي، واستمرّوا في النضال حتى استقلال سورية عام 1946.

بعد الاستقلال، شهدت السويداء أولى أزماتها مع الدولة السورية الجديدة، عام 1947، إذ برزت ملامح صراع سياسي إثر الانتخابات التشريعية، حيث بقيت 4 مقاعد من أصل 5 مخصصة لتمثيل الدروز في السويداء في المجلس النيابي شاغرةً لمدة عام كامل، وفي العام نفسه، شهدت السويداء تظاهرات واشتباكات مسلحة، بين الزعامة التقليدية لآل

(4) حاولت فرنسا إغراء الدروز بإقامة كيان خاص بهم عندما احتلت سورية، وقامت بتقسيمها إلى دويلات طائفية من ضمنها دويلة الدروز، وذلك في 1 أيار/ مايو 1921، لكن سرعان ما انتفض الدروز ضد التقسيم، فقامت الثورة الأولى لسلطان باشا الأطرش عام 1922 ضد الفرنسيين، ثم قامت الثورة السورية الكبرى عام 1925، حيث أنزل الثوار علم الدويلة الطائفية ورفعوا العلم السوري معلنين رفضهم للتقسيم، وهكذا فشل المشروع الفرنسي بتقسيم سورية، وقاد سلطان باشا الأطرش نضال كل السوريين، بغض النظر عن انتماءاتهم الطائفية، ضد المستعمر الفرنسي لإنجاز استقلال الدولة السورية، للمزيد انظر: https://cutt.us/XDSo1 .

(5) أدهم خنجر، أحد قادة مقاومة الاحتلال الفرنسي لبلاد الشام، وهو ثائر من أهالي صيدا في لبنان، اعتقلته القوات الفرنسية في 7 تموز/ يوليو 1922، رغم لجوئه إلى سلطان باشا الأطرش في السويداء، للمزيد انظر: https://cutt.us/t0mWV .

الأطرش، وحركة من الفلاحين أطلقت على نفسها اسم «الشعبيين»، وقد اتُّهم شكري القوتلي رئيس البلاد بتشجيعهم على التمرّد على نفوذ آل الأطرش، نتيجة علاقتهم الجيدة مع الأسرة الهاشمية والمملكة الأردنية، ودعمها مشروع الهلال الخصيب، وانتهت المواجهات بالصلح بين الطرفين، قبل انقلاب حسني الزعيم الذي أطاح بالقوتلي، بعد نحو عام ونصف، في 1949[6].

وفي كانون الأول/ ديسمبر 1953، عند قرب نهاية عهد الرئيس السوري أديب الشيشكلي، دخلت محافظة السويداء في مواجهة مع نظام الحكم[7]، إذ كان الشيشكلي قد شكّل حزب التحرير، ومنع جميع الأحزاب الأخرى (بما يشبه حكم البعث)، واعتقل كلَّ من عارضه، وأراد تشجيع الوجهاء للدخول في حزبه، وفي أواخر سنة 1953، ذهب الشيشكلي إلى السويداء، واجتمع بسلطان الأطرش، ليكسب وقوفه إلى جانب حزب التحرير الجديد، وألقى الشيشكلي كلمة أكد فيها أن حكومته ستخصص مبالغ كبيرة لتنمية السويداء التي كانت محرومة منها. ولكن الشيشكلي فوجئ برد سلطان الأطرش الذي قال :»نحن لا نفكّر في الوقت الحاضر بالمطالبة بحقوقنا المهضومة في هذه المحافظة منذ بداية عهد الاستقلال، بل نتوجه إليكم بالنصح مخلصين أن تتخلوا عن الحكم، ليعود لأصحابه الشرعيين، وأن تفرجوا عن المعتقلين». وقد دفع هذا الموقف بالشيشكلي إلى التضييق على أبناء المحافظة، ما أغضب الأطرش كثيرًا، وعلى إثر قيام تظاهرات طلابية في السويداء، كجزء من موجة تظاهرات ضد حكم الشيشكلي في سورية، اعتقلت سلطات نظامه بعض وجوه السويداء، بتهمة التحريض على التظاهر، ما أدى إلى تصعيد وتوتر بين الحكومة والسويداء، تدخّل على إثرها الجيش السوري في الصراع، وأرسل قوة عسكرية كبيرة إلى السويداء، بهدف اعتقال «سلطان باشا الأطرش» وعددٍ من مؤيديه المعارضين لسياسة الشيشكلي، على خلفية اتهامه من قبل خصومه بتنفيذ سياسات قمع واعتقال بحقهم. واستطاعت هذه القوات اعتقال العشرات، لكن «الأطرش» فضّل اللجوء إلى الأردن ليتفادى الصدام العسكري، وبقي في الأردن حتى انقلاب الجيش على الشيشكلي، في أواخر شباط/ فبراير من العام 1954.

عاد التأزّم بين السويداء والدولة السورية للبروز بعد حملة اعتقالات شنها ضباط حزب البعث الحاكم بعد انقلاب 23 شباط 1966، على خلفية محاولة انقلاب ابن السويداء الرائد سليم حاطوم، فاعتقل شبلي العيسمي ومنصور الأطرش، وهما من مؤسسي حزب البعث 1947، وبالرغم من أن سليم حاطوم قائد القوات المظلية آنذاك قد لعب دورًا رئيسًا في انقلاب 23 شباط، فقد جرى تهميشه، ما دفعه للقيام بمحاولة انقلاب فاشل في أيلول 1966، أسفر

(6) نظم «الشعبيون» تظاهرات واحتجاجات عنيفة مطالبين سلطان باشا الأطرش بالاستسلام والتقاعد، فواجههم سلطان باشا بمحاربيه القدامى، وتمكن قائده «حسن الأطرش» من القضاء على تمرد «الشعبيين»، في معركة قرب قرية بكا، وعلى الرغم من وجود فرق من الجيش السوري بقيادة وزير الدفاع، أحمد الشرباتي، فإنه لم يتدخل بناءً على أوامر القوتلي، ومع تقدّم آل الأطرش على الشعبيين، سحب الشرباتي قواته من الجبل، ما سهل المصالحة بين الطرفين. للمزيد، انظر: باتريك سيل، الصراع على سوريا، ترجمة سمير عبده، دار طلاس، دمشق 1986، ص179-180.

(7) خلال السنوات الأربع لحكم أديب الشيشكلي في سورية، من كانون الأول/ ديسمبر عام 1949 إلى شباط/ فبراير عام 1954، تعرضت السويداء لهجوم شديد من قبل الحكومة السورية، اعتقد الشيشكلي أن جبل الدروز هو الأكثر خطورة، من بين خصومه العديدين في سورية، وكان مصممًا على سحقهم. وقد أعلن ذلك مرارًا وتكرارًا: «أعدائي مثل الثعبان: الرأس هو جبل الدروز، والمعدة هي حمص، والذيل هي حلب. إذا سحقت الرأس، فسيموت الثعبان». أرسل أديب الشيشكلي 10 آلاف جندي نظامي لاحتلال جبل الدروز. وقصف عدة مدن بالأسلحة الثقيلة، مما أسفر عن مقتل العشرات من المدنيين وتدمير العديد من المنازل. ووفقًا لحسابات الدروز، شجع الشيشكلي القبائل البدوية المجاورة على نهب ممتلكات السكان العزل، وسمح لقواته بالفرار. وشنَّ الشيشكلي حملة لتشويه سمعة الدروز. واتهم المجتمع بأسره بالخيانة. بعد حملة الشيشكلي العسكرية، فقدت السويداء كثيرًا من نفوذها السياسي، لكن بعض الضباط العسكريين الدروز لعبوا أدوارًا مهمة في حكومة حزب البعث، خلال الفترة 1963 - 1966: https://cutt.us/Xra9r .

عن تسريح مئات الضباط الدروز من الجيش، وهرب حاطوم الى الأردن، وعندما شن الاحتلال الإسرائيلي حرب حزيران 1967، عاد حاطوم إلى سورية معتقدًا أن ظروف الحرب قد تُغيّر من موقف قيادة البعث الحاكم ضدّه، لكنه اعتُقل وحوكم صوريًا، وتمت عملية إعدامه سريعًا، في 24 حزيران/ يونيو 1967، قبل أن تصل وفود من السويداء للتوسط له، واتهم صلاح جديد وحافظ الأسد بالإسراع بإصدار قرار الإعدام[8].

وفي تشرين الثاني/ نوفمبر 2000، شهدت السويداء انتفاضة شعبية على خلفية اندلاع مواجهات دامية بين أهالي المدينة وعشائر البدو، قُتل وجُرح فيها العشرات من الطرفين، وشكلت هذه الاحتجاجات تحديًا أمنيًا خطيرًا للنظام السوري، في بدايات حكم بشار الأسد الذي تولى السلطة بعد وفاة والده حافظ الأسد، في سابقة وراثة للحكم لم تشهدها الدولة السورية من قبل، وقد تواصلت انتفاضة السويداء لأيام، وأعلن أهالي السويداء الإضراب العام، واحتشدوا أمام المباني الحكوميّة، وهاجموا مبنى المحافظة وقيادة الشرطة[9].

ولاحتواء انتفاضة السويداء؛ حاول النظام السوري التعامل مع الأحداث على أنها فتنةٌ اجتماعيّة، وقدّم نفسه على أنه الضامن لأمن المجتمع، وخاصة للدروز، وروّج لاستجابته لمطالب المنتفضين بفرض تعزيزات أمنية إضافية، بذريعة حماية أهالي المحافظة من اعتداءات عشائر البدو، في الوقت الذي كان يعزز قوة وسلطات أجهزته الأمنيّة[10].

(8) للمزيد، انظر: نيكولاس فان دام، الصراع على السلطة في سوريا، مكتبة مدبولي، 2006، ص 82-91.

(9) يرجع السّبب المباشر لانتفاضة جبل الدروز في العام 2000 إلى إشكال بين رعاة من البدو مع مزارع، حيث أطلق الرعاة أغنامهم في كرم عنب يملكه المزارع، وتطور الإشكال حتى أسفر عن مقتل شاب من السويداء؛ فاندلعت على إثر ذلك مواجهات بين الطرفين، تزامنت مع احتجاجات أهالي السويداء ضد سياسات النظام السوري التي اعتبرها أهالي السويداء منحازة إلى عشائر البدو، بهدف ترهيبهم، للمزيد حول انتفاضة السويداء في العام 2000، انظر: **تجدد الصدامات بين البدو والدروز في السويداء، موقع الجزيرة، https://cutt.us/UK1De** .

(10) انتفاضتا السويداء والقامشلي ومنهج الأسد في صناعة واستثمار الفتن، تلفزيون سوريا، 2020، على الرابط التالي: https://cutt.us/3msud . آخر زيارة بتاريخ: 2023/4/10.

## ثانيًا: واقع السويداء بعد انطلاق الثورة السورية

### بدايات حراك ثوري متردد

على الرغم من قلة المشاركين، لم تتأخر مشاركة ناشطي السويداء في حراك الثورة السورية التي انطلقت في آذار/ مارس 2011، إلا أن التظاهرات والوقفات الاحتجاجية في المحافظة بدأت بالانحسار حتى توقفت بحلول الشهر الثالث من انطلاق الثورة.

وفي رصد حراك البدايات، سجل ناشطو المحافظة حضورهم في تظاهرة سلمية في 28 آذار 2011، في منطقة «صلخد»، واجهتها أجهزة أمن النظام السوري باعتداءات عنيفة واعتقال عدد من المتظاهرين، قبل أن يعتصم العشرات من ناشطي السويداء ومدنييها أمام مبنى السراي الحكومي في السويداء، حدادًا على أرواح ضحايا عنف النظام في محافظة درعا، وشهد نيسان/ أبريل من العام 2011 تظاهرتين حاشدتين: الأولى في 14 نيسان، والثانية في ساحة الشعلة بذكرى الجلاء 17 نيسان، أطلق عليها ناشطو الثورة شعار «أحد الجلاء»، كتسمية موحدة لكل التظاهرات والاعتصامات بهذه المناسبة في جميع مناطق سورية، وقوبلت التظاهرتان بقمع عنيف، واعتداءات واسعة نفذها عناصر الأمن والشبيحة، واعتُقل عدد من المتظاهرين.

واستمرت التظاهرات والاعتصامات السلمية في السويداء نحو شهرين، رغم انقسام المجتمع بين مؤيدين لها، وآخرين محذرين من ردة فعل عنيفة للنظام، وقسم آخر عبّر عن تأييده للنظام السوري. ويرجع ضعف وتراجع الحراك الاحتجاجي إلى عدة أسباب، يمكن إدراجها ضمن سمات نستعرضها في ما يأتي:

**سطوة الأذرع الأمنية للنظام وطبيعته العنفية:** وذلك من خلال الحضور الأمني المكثف لعناصر أجهزة الأمن ومؤيدي النظام السوري، حيث سارعت أجهزة الأمن إلى تنظيم مجموعات من المؤيدين وتسليحهم، «الشبيحة»، ساهمت إلى جانب عناصر الأمن في قمع المتظاهرين، وترهيب الأهالي من الاقتتال الداخلي بين أبناء المحافظة. وساهم تسارع تداعيات القمع العنيف من قبل أجهزة النظام السوري الأمنية والعسكرية للحراك في درعا وحمص وبانياس، في تعزيز المخاوف من مصير مشابه، إذا اتسعت رقعة الحراك الثوري في السويداء[11].

**عدم وجود قيادة واحدة تقود الحراك الشعبي، وعدم وجود/ قيام تنظم واحد قادر على مسك السلطة في حال سقوط الأسد،** وغياب برنامج سياسي واضح يتجاوز شعار إسقاط النظام، وتوجيه خطاب مطمئن لمختلف مكونات المجتمع السوري، إذ كان من الصعب على حراك شعبي قام بشكل مفاجئ للجميع أن يكوّن مثل هذا التنظيم وهذه القيادة على خلفية ضعف البنية السياسية للمعارضة والحراك الثوري، إذ منع النظام السوري طوال أكثر من أربعة عقود أيّ شكل من أشكال الانتظام في العمل السياسي، خارج حزب البعث العربي الاشتراكي، وأحزاب الجبهة الوطنية التقدمية الموالية له، وهيمن على النقابات والمؤسسات والفعاليات الشبابية، وأحكم سيطرته الأمنية عليها، واستهدف بالاعتقال

(11) مع دخول وحدات الجيش السوري، ابتداء من نيسان/ أبريل 2011، على خط مواجهة الحراك الاحتجاجي، واتباعها أسلوب الاجتياحات وارتكابها عددًا من المذابح، في أيار/ مايو 2011، على وجه التحديد، واقتحامها مدن وبلدات في درعا وحمص وبانياس؛ تزايدت المخاوف في صفوف المشاركين في التظاهرات والمدنيين من انقسام الجيش وتحوّل الحراك إلى مواجهات مسلحة، ما تسبب في انحسار التظاهرات وتراجع عدد المشاركين فيها لفترة من الزمن، في معظم المناطق السورية.

والتهجير، وحتى القتل، كلّ من تجرأ على معارضته، ما أدى إلى تصحر الحياة السياسية في سورية، وضعف تجربة المعارضين على قلتهم، وافتقارهم إلى خبرة العمل السياسي والمؤسساتي، وهو ما انعكس ضعفًا في تكتيكات المجموعات الشبابية التي قادت حراك البدايات، وفشلها في تحفيز المجتمع على احتضان الحراك الاحتجاجي.

**الديناميات الداخلية للمجتمع في السويداء وسيطرة الأبوية القيادية:** أدى افتقار المجتمع للتشكيلات السياسية المعارضة، والقادة السياسيين، وسيطرة النظام السوري على المجتمع والمؤسسات الدينية ودعم حضور رجال الدين والشخصيات الاجتماعية ممن ضمن ولاءهم، إلى بروز قدرة القيادات الدينية والاجتماعية على التأثير في المجتمع، خدمة لهيمنة النظام، وهو ما أدى في السويداء، التي يتمتع مشايخ العقل فيها بسلطة أبوية نافذة، إلى تعزيز قدرة رجال الدين على استقطاب المترددين في الانخراط بالحراك الثوري، ودعم دعواتهم إلى حياد أبناء الطائفة الدرزية، ما عزز واقع الانقسام المجتمعي حيال الحراك الثوري.

## انقسام السويداء حيال الثورة وحياد باهظ الثمن

اتسم الموقف العام لأهالي السويداء بالحياد، من جراء انقسامهم إلى موالين للنظام، ومعارضين له، إضافة إلى الاستقطاب العميق الذي ساهم فيه خطاب قادة الدروز في لبنان المنقسمين بدورهم حيال الثورة السورية. وعلى الرغم من بروز عشرات المعارضين وظهور حراك شبابي يميل لدعم الثورة، ساد توجه عام يحذر من التصعيد مع النظام السوري والمؤسسات الأمنية والعسكرية التي اختبروا على مدى عشرات السنين سطوتها، وقوبلت دعوات الانحياز العلني إلى الثورة بالاعتراض من شيوخ العقل والشخصيات البارزة في الطائفة الدرزية، التي ذهبت إلى تخويف أهالي المحافظة من مخاطر جدية تهدد وجود طائفة الموحدين الدروز، وأن بقاء الطائفة مرتبط ببقاء هيكلية الدولة، وروّج مؤيدو النظام السوري سرديات تحذر من احتمالات أن ينتج عن التحولات السياسية وصول الأغلبية من الطائفة السنية إلى تولي الحكم، وتهديد أمان الدروز الطائفي، الهش أصلًا، وعزز هذا الموقف وجود نسبة كبيرة من العاملين والعاملات في قطّاع الدولة، ممن ترسخت لديهم القناعة أن السلطة القائمة مصدر عيشهم، وأن الثورة على النظام قد تؤدي إلى فقدان الاستقرار وخسارة أمانهم الوظيفي والمعيشي، وساهم ذلك في دعم موقف الحياد، الذي نتج عنه قرار امتناع الشبان الشباب الدروز عن الالتحاق بالخدمة العسكرية الإلزامية، التزامًا منهم بعدم حمل السلاح بوجه أبناء شعبهم من الثائرين ضد النظام السوري.

ومع أن النظام السوري امتنع في السويداء عن استخدام سياسة القمع العنيف الواسع، في مواجهة الحراك الاحتجاجي، وامتناع معظم شبان المحافظة عن الالتحاق بالخدمة العسكرية، فإن أجهزته الأمنية والحكومية استهدفت المحافظة وأبناءها بسياسات عقابية متنوعة.

ولم يكن قرار الحياد بلا ثمن، فالنظام السوري الذي بدأ يعاني نقصًا في عديد قواته مع انتقال الحراك الثوري إلى طور المقاومة المسلحة، من جراء عدة عوامل، من أبرزها حركة انشقاق الأفراد والضباط الواسعة عن صفوف جيشه، رأى في قرار امتناع دروز السويداء عن الخدمة العسكرية استهدافًا له، وإضعافًا لموقفه بمواجهة الثائرين ضده؛ فانتهج سياسة عقابية متنوعة الأوجه ضد أهالي السويداء، كان من أبرز نتائجها إهمال خدمي واضح، وإطلاق يد أجهزته الأمنية لتجنيد الشبان في ميليشيات محلية ساهمت في الانفلات الأمني الذي تعيشه المحافظة منذ سنوات.

وضمن سياساته العقابية، وتحت ضغط حاجته إلى مصدر تمويل، عمل النظام السوري، بمساندة الميليشيات المدعومة من إيران المتمركزة في المحافظة، على إطلاق يد العصابات الموالية لها لتحويل السويداء إلى منطقة تجميع وتهريب المخدرات إلى الأراضي الأردنية. وفي ظل حالة الحياد العامة، برز تيار مؤيد للنظام السوري، استفاد من ضعف حضور قيادات المعارضة، والسياسات القمعية للنظام، وحظي بمساندة معظم رجال الدين، وعدد كبير من التجار والموظفين والمنتمين إلى حزب البعث وأحزاب الجبهة الوطنية المتحالفة مع النظام[12].

وتكررت مواقف شيوخ عقل الطائفة المؤيدة للنظام السوري، لتشكل مانعًا جديًا من ظهور حراك داعم للثورة في المحافظة، وكان من أبرز هذه المواقف بيان لشيوخ عقل طائفة المسلمين الموحدين، في نيسان/ أبريل 2013، ردًا على تصريحات للزعيم الدرزي اللبناني وليد جنبلاط اعتبر فيها أن الدروز الذين مع يقفون إلى جانب النظام السوري «دمهم حلال"[13]، وعن هذا البيان، قال الشيخ حكمت الهجري (شيخ عقل الطائفة)، في حديث للتلفزيون السوري: «إننا نعتبر كل من يخرج عن احترام الدولة والقانون ذاهبًا باتجاه الفراغ، ولا يخدم مصالحنا التي هي بالدرجة الأولى أمن واستقرار أبناء شعبنا وطمأنينتهم في بيوتهم ومناطقهم»[14].

### استخدام داعش لمعاقبة السويداء

واجه أبناء محافظة السويداء أحد أكثر أشكال سياسة النظام السوري العقابية دموية، في 25 تموز/ يوليو 2018، بعد أن شن مقاتلو تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» هجومًا واسعًا على عدة قرى شرقي السويداء، أسفر عن عشرات الضحايا والمخطوفين، وامتنعت قوات النظام السوري المتمركزة في المنطقة عن مواجهته.

ويرجح أن أول ظهور لمقاتلي تنظيم الدولة في بادية السويداء كان عام 2014، في منطقة «بئر القصب» شمال شرق السويداء، وقد اختارها التنظيم لوقوعها في نقطة تلاقي طرق تصل الشمال السوري بالغوطة الشرقية والقلمون الشرقي ومنطقة اللجاة، ومحافظة السويداء.

ولعب النظام السوري دورا مساعدًا لتنظيم «داعش» في هجومه على السويداء آنذاك، فقد أبرم النظام السوري برعاية روسية اتفاقًا مع التنظيم في 20 أيار/ مايو 2018، انتقل بموجبه نحو 1600 مقاتل من «داعش» من مناطق جنوب دمشق إلى شرقي السويداء، كما سمح اتفاق آخر في شهر تموز/ يوليو 2018 بين النظام السوري و«داعش» بخروج مقاتلي فصيل «جيش خالد بن الوليد» المبايع لتنظيم «داعش» من منطقة حوض اليرموك غربي درعا، إلى شرق السويداء، وهو ما سهل تجمع قوة كبيرة للتنظيم، لشن هجومه، وقد تجاهلت قوات النظام دخول مسلحي التنظيم إلى بعض القرى، خاصة بعد أن سحب النظام جزءًا مهمًا من قواته العسكرية من بادية السويداء إلى محيط ريف درعا الشرقي، خلال معاركه للسيطرة على درعا، ما مكّن التنظيم من ارتكاب عدة مجازر قتل وجرح فيها مئات المدنيين، وخطف نساء وأطفالًا، قبل أن يتمكن مسلحون من أبناء السويداء من رد الهجوم والتفاوض مع التنظيم لإطلاق المخطوفين[15].

(12) للمزيد حول انقسام موقف أهالي السويداء من الثورة، انظر: نور ضاهر، السويداء.. تحت حكم الأسد أم تحت حكم الفصائل؟ 2021، على الرابط التالي: https://cutt.us/hvDdD ، آخر زيارة: 2023/4/6.

(13) انظر: دم الدروز الموالين للأسد «حلال"، صحيفة الجمهورية اللبنانية، 2013/4/4، https://cutt.us/5U7bs، آخر زيارة: 2023/5/23.

(14) شيوخ عقل طائفة المسلمين الموحدين يستنكرون فتوى جنبلاط بهدر دم أبناء طائفتهم، موقع الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون – سورية، 2013-04-07، http://www.ortas.online/index.php?d=21&id=117630 آخر زيارة: 2023/5/24.

(15) للمزيد، انظر: السويداء وثمن "الحياد" الهش، دراسة صادرة عن مركز حرمون للدراسات المعاصرة، https://cutt.us/AoUw1

## أسباب امتناع النظام السوري عن استخدام العنف في السويداء

في تحليل امتناع النظام عن استخدام التكتيكات العنفية في مواجهة حراك السويداء الاحتجاجي، وتخلّف الشبان عن الالتحاق بالخدمة العسكرية الإجبارية في جيش النظام، وصمته عن اتساع ظاهرة الفصائل المسلحة، خاصة فصيل «رجال الكرامة»، تبرز الأسباب التالية:

محدودية الحراك الاحتجاجي في السويداء في بداياته، وضعف تأثيره قياسًا بسطوة القوى المؤيدة للنظام من جهة، واتساع قاعدة المؤيدين للحياد من جهة ثانية.

خشية النظام من استفزاز المجتمع ودفع دعاة الحياد، لمساندة الحراك الاحتجاجي في حال استخدام العنف ضد ناشطي الحراك الثوري والمعارضين.

خشية النظام السوري من تضامن دروز الجولان وفلسطين المحتلة مع أهالي السويداء، ما يشكل ضغطًا على قيادات الاحتلال الإسرائيلي لتغيير استراتيجيتهم القائمة على رفض تغيير النظام، لتلافي حصول تطورات إستراتيجية في غير صالحها جراء رحيل الأسد[16].

خشية حلفاء النظام في لبنان من ردة فعل احتجاجية لأبناء الطائفة الدرزية في لبنان، تضامنًا مع أهالي السويداء، في حال تعرضهم لقمع عنيف من قبل سلطات النظام، ما يهدد الاستقرار الهش في لبنان ويضعف القوى الحليفة المساندة للنظام، وخاصة ميليشيا «حزب الله».

حرص النظام السوري على عدم تقويض ركائز ادعاءاته (داخليًا وخارجيًا)، بأنه نظام يحمي الأقليات ويضمن استمرار وجودها بمواجهة الحراك الثوري، الذي لطالما وصفه بأنه حراك «طائفي سني»، يهدف إلى تقويض أسس النظام العلماني في سورية، وتأسيس نظام ديني تتركز فيه السلطة في أيدي الأغلبية.

وإضافة إلى الأسباب السابقة، فقد امتنع النظام السوري، حتى الآن، عن قمع الحراك الاحتجاجي الواسع الذي تشهده السويداء منذ منتصف آب/أغسطس 2023، بالرغم من جذرية الشعارات المرفوعة واتخاذها منحى سياسيًا يقطع مع النظام، ويطالب بإسقاطه، خشية أن يتسبب استخدام العنف في انتشار الاحتجاجات على نطاق أوسع، وخارج السويداء أيضًا، ما يستدعي حاجة النظام إلى قوات وموارد لحملاته العسكرية والأمنية، لا تتوفر حاليًا في ظل انشغال روسيا في غزو أوكرانيا، وتراجع قدرة إيران على دعم النظام السوري بالمال والسلاح والمقاتلين، من جراء العقوبات المفروضة عليها، والالتزامات التي قد تكون فرضتها عليها سياسة تطبيع علاقاتها مع المملكة العربية السعودية، ومخاطر اقتراب ميليشياتها أكثر باتجاه الحدود السورية مع الاحتلال الإسرائيلي.

## المقاومة المسلحة في صفوف أهالي السويداء

مع ظهور المقاومة المسلحة في صفوف الثوار، وبروز ملامح مواجهة عسكرية مع قوات النظام السوري، إثر تزايد الانشقاقات من جيش النظام السوري، وتشكيل «الجيش السوري الحر»؛ تجمّع عدد من الثوار المسلحين في السويداء، تحت مسمى كتيبة «سلطان باشا الأطرش»، بقيادة الملازم أول المنشق «خلدون سامي زين الدين»، وذلك في أيلول/

(16) موشيه معوز، الخبير في شؤون الشرق الأوسط والمحاضر بالجامعة العبرية، في تصريح لموقع الجزيرة نت، في تقرير بعنوان: لماذا تفضل إسرائيل بقاء الأسد؟ 25.1.2014، https://cutt.us/a9Oxw، آخر زيارة: 23.6.2023

سبتمبر[17] 2011، ونتيجة انقسام مجتمع السويداء، والموقف العام الرافض لحمل السلاح بوجه الجيش السوري، اتخذت الكتيبة مقرًا لها في مدينة درعا، وتزايد عدد أفراد التشكيل مع انضمام مقاتلين جدد من أهالي السويداء ودرعا، وبدأت المجموعة شنّ عمليات عسكرية ضد مواقع النظام السوري، كان أبرزها تفجير مستودع ذخيرة في قاعدة (ثولا) العسكرية قرب السويداء في تموز/ يوليو 2012، وهي إحدى قواعد سلاح الجو في الجيش السوري.

وتوقفت عمليات كتيبة «سلطان باشا الأطرش»، بعد مقتل قائدها «خلدون زين الدين» في معركة «ضهر الجبل» في السويداء مع قوات النظام السوري، بتاريخ 13 كانون الأول/ ديسمبر 2013، وما لبث أن انفرط عقد الكتيبة مع دخول عناصر من «جبهة النصرة» إلى درعا، عام 2014، واضطرار معظم مقاتلي الكتيبة للفرار إلى الأراضي الأردنية نهاية العام ذاته، وانضمام آخرين إلى فصائل درعا، بسبب سياسات التضييق التي نفذتها «جبهة النصرة» عليهم، وتهديدهم على خلفية انتمائهم إلى طائفة الموحدين الدروز.

وعلى الرغم من انتشار بعض التشكيلات المسلحة ذات المرجعية الإسلامية، في درعا وعلى أطراف محافظة السويداء، وتمركز مقاتلين من تنظيم الدولة «داعش» في مناطق شرق السويداء بعد اتفاق التسوية الذي رعته روسيا لإخلاء منطقة حوض اليرموك من مقاتلي «جيش خالد بن الوليد» المبايع لتنظيم (داعش) في منتصف العام 2018، لم تتمكن هذه التشكيلات من إقامة مواقع ومقرات لها في السويداء، فقد بقيت السويداء تحت سيطرة النظام، والميليشيات الداعمة له، وفصائل محلية أخرى، وعاشت المحافظة وما تزال أوضاعًا أمنية واقتصادية وخدمية ومعيشية صعبة.

## الواقع الاجتماعي والمعيشي والخدمي في السويداء عقب ثورة 2011

كغيرها من مناطق سورية، عانت السويداء أوضاعًا معيشية سيئة، قبل اندلاع الثورة السورية، وساهم تردي الخدمات وسوء الإدارة الحكومية في هجرة الشبان، وشكلت دول الخليج العربي مناطق جذب للآلاف منهم، حتى باتت معظم عائلات السويداء تعتمد في تحسين موارد دخلها على تحويلات المغتربين، في حين انخرطت فئة كبيرة من أبناء السويداء في سلك الوظيفة العامة، واعتمدت فئة أخرى على موارد ما تنتجه الزراعة من محصول غير مستقرّ، وكانت حركة الحياة الاقتصادية في المحافظة ضعيفة، وتتأثر بتعقيدات تمويل الحكومة للقروض، وتراجع دخل المغتربين، خاصة بعد الأزمة المالية العالمية في العام 2008[18].

إلا أن ما واجهته محافظة السويداء منذ العام 2011 على الصعيد المعيشي كان أكثر تأثيرًا وشمولًا، وما تزال أزمات أبناء المحافظة تتفاقم على نحو مطرد، على وقع أزمات النظام السوري الاقتصادية، ما انعكس تدهورًا خدميًا ومعيشيًا، نتيجة عدة أسباب، منها:

- فوضى سياسات حكومات النظام الاقتصادية والمالية.
- سوء أداء المؤسسات الحكومية، والإدارات المحلية التابعة للنظام، وتفشي الفساد فيها، وتدني مستوى الخدمات، والإهمال الحكومي.
- تدهور قيمة الليرة السورية، وتآكل الأجور والرواتب، وارتفاع الأسعار.

(17) للمزيد حول كتيبة سلطان باشا الأطرش، انظر: https://cutt.us/JcWYq .

(18) رامي نصرالله، التحوّلات الاقتصاديّة في السويداء.. إلى أين ستصل بأبنائها؟، 2019، على الرابط التالي: https://cutt.us/V8t6l . آخر زيارة بتاريخ: 2023/4/6.

- تراجع نشاط معظم القطاعات الإنتاجية، الزراعية والخدمية والصناعية، وازدياد معدل البطالة، وندرة فرص العمل.

- نقص توريدات المشتقات النفطية، والانقطاعات الطويلة للتيار الكهربائي، وخدمات الاتصالات.

- تدفق النازحين إلى المحافظة، خاصة من أبناء محافظة درعا، وريف دمشق.

وبرزت مظاهر هذه المعاناة في انتشار مشكلات التسوّل وعمالة الأطفال، والالتحاق بالفصائل المسلحة، والهجرة المتزايدة للشبان، ما دفع الأهالي إلى تنظيم العديد من الاحتجاجات التي تطالب النظام السوري بتحسين الوضع المعيشي ووضع حد لتدهوره، إذ يراوح مرتب الموظف الحكومي، بعد الزيادة الأخيرة في منتصف شهر آب/ أغسطس 2023، بين 140 ألف ليرة سورية و300 ألف ليرة، أي بحدود 12 إلى نحو 20 دولارًا شهريًا، وبحسب مؤشر قاسيون لتكاليف معيشة الأسرة السورية من خمسة أفراد، فقد بلغ وسطي التكاليف في منتصف آب/ أغسطس 2023 أكثر من 10 ملايين ليرة سورية، شهريًا[19]، وبات معظم أهالي المحافظة يعتمدون في تأمين متطلبات معيشتهم على الحوالات المالية من ذويهم المغتربين.

وتعثر القطاع الزراعي نتيجة توقف الدعم الحكومي له، وتراجعت زراعة القمح، وهو المحصول الرئيسي بالمحافظة، وضاعف تراجعها الجفاف وتكاليف الزراعة التي ارتفعت عدة مرات خلال السنوات الماضية، وتسببت بخسائر كبيرة لكثير من المزارعين، ودفعتهم إلى التوقف عن زراعة القمح والشعير في الموسم الحالي، تجنبًا لتحمل الخسائر من جديد[20].

وانعكست هذه الصعوبات على كميات وجودة محصول التفاح وتراجع تسويقها؛ حيث كان أهالي السويداء ينقلون محاصيلهم لمحافظة درعا لبيعها في أسواق المدينة أو للتجار في درعا، لتصديرها في مرحلة أخرى إلى الأردن، لكن عدم الاستقرار الأمني في كلتا المحافظتين أثر كثيرًا في قدرة السويداء على تصدير محاصيلها. وبالرغم من إعادة فتح معبر نصيب بين الأردن وسورية، لم يطرأ تحسّن ملحوظ على تصدير المنتجات الزراعية من السويداء، خاصة بعد استخدام موالين للنظام السيارات المبردة المخصصة لمحصول التفاح، في تهريب شحنة من مادة الحشيش إلى مصر، ما أثر بوضوح على تصدير معظم المنتجات الزراعية وخاصة التفاح[21].

كذلك تضرر محصول العنب، نتيجة عدم وجود سوق داخلية لتصريفه وتوقف التصدير إلى الأردن والخليج العربي وباقي الدول، بسبب إغلاق معبر «نصيب» الحدودي، وبالرغم من المطالبات العديدة للفلاحين بفتح معبر تجاري فقط مع الأردن لتصريف منتجاتهم، لكن دون جدوى، فقد أغلق معبر نصيب عام 2015، حتى بداية عام 2018، كما أغلق فترة طويلة، بسبب انتشار وباء كورونا، حتى تم فتحه رسميًا عام 2021.

**وعلى صعيد قطاع المواصلات والاتصالات**، انعكس شحّ توريد المحروقات من الجهات الحكومية وتوزيعها بشكل غير عادل على المواطنين، وغلائها في السوق السوداء، شللًا شبه كامل لحركة السيارات ووسائل النقل في المحافظة، إذ بلغ سعر ليتر البنزين

(19) للمزيد، انظر: جردة حساب لمرحلة «ما بعد الزيادة».. من الوضع السيئ إلى «السوبر سيئ»، موقع قاسيون، 28،8،2023، https://cutt.us/486Ea آخر زيارة 30،8،2023

(20) تعثر الزراعة في محافظة السويداء.. وزراعة القمح تحتضر، صحيفة السوري، 2023، على الرابط التالي: https://alsori.net/?p=16849 ، آخر زيارة بتاريخ: 2023/4/6.

(21) «حشيش تفاح».. تفاصيل تهريب أكبر شحنة حشيش لمصر داخل سيارة تحمل التفاح، موقع اليوم السابع، على الرابط التالي: https://cutt.us/lNg0O. آخر زيارة بتاريخ: 2023/3/1

أوكتان 95 المدعوم من النظام السوري، في محطات الوقود، 13,500 ليرة سورية، أمّا في السوق السوداء فيراوح سعر الليتر الواحد بين 18.000 و21.000 ليرة سورية، وكذلك الحال بالنسبة إلى مادة المازوت، فسعر ليتر المازوت الرسمي في محطات الوقود 8,000 ليرة سورية، أمّا في السوق السوداء، فيراوح بين 12000 و15.000 ليرة، وذلك وفق ما سجله راصدو مركز حرمون، بعد قرارات رفع أسعار المحروقات في 17 آب/ أغسطس 2023.

ومنذ مطلع عام 2021، عانت السويداء شحًّا كبيرًا في توفر المحروقات، وأثر ذلك سلبًا على الإنتاج الزراعي، في عمليات الزراعة ونقل المنتجات الزراعية وتسويقها، نتيجة ارتفاع تكاليف النقل مع ارتفاع الأسعار بشكل عام، وعدم قدرة كثير من المواطنين على شراء الفواكه، كما تضرر القطاع الصناعي بشكل كبير نتيجة غلاء المحروقات وشحّها. وتعاني شبكات الكهرباء والاتصالات والإنترنت حالة ترد كبير، إذ كانت الطاقة الكهربائية تنقطع ساعات طويلة، وكان الانقطاع يستمر أيامًا طويلة في بعض الأحيان، وكذلك خدمة الهواتف الأرضية والشبكة الخليوية، نتيجة توقف محطات التوليد، وتضرر شبكات نقل الطاقة بسبب الحرب، وعدم توفر الوقود للبطاريات والمولدات في مقاسم الاتصالات وأبراج التغطية.

وبحسب استبانة ميدانية، قام بها فريق مركز حرمون للدراسات، حول شح مصادر الطاقة مناطق سيطرة النظام، فإن نسبة 3،5% فقط من أفراد العينة حصلوا على القدر الكافي من مصادر الطاقة، مقابل 96.5% أكّدوا عدم حصولهم على حاجتهم الضرورية منها، وقال 37،5% من هؤلاء: إن "البطاقة الذكية" التي تحدد المخصصات الرسمية (المقننة) هي مصدرهم الرئيسي، علمًا أن البطاقة الذكية لا تغطي أكثر من 10% من الاحتياجات المطلوبة للعائلة، وشكلت البطاريات البديل الأعلى استهلاكًا، بنسبة 56،5%، تلتها نسبة 20% قالوا إنهم يرممون النقص من السوق السوداء، و19% أكدوا عدم وجود بدائل لديهم لتعويض نقص الطاقة، بسبب عدم قدرتهم على تحمّل تكاليفها، وشكلت ألواح الطاقة الشمسية بديلًا لـ 9،5% من أفراد العيّنة، يليها الحطب بنسبة 8،5%، (وبابور الكاز) بنسبة 4،5%، وأخيرًا مولدة الكهرباء بنسبة 1،5%[22].

## الأوضاع الأمنية ومدى سيطرة النظام السوري في السويداء

عمل النظام السوري على تعزيز قبضته الأمنية على محافظة السويداء بعد انطلاق الثورة السورية في آذار/ مارس 2011، من خلال إمداد مقارّه الأمنية بالعناصر والأسلحة، ونشر حواجز أمنية في مواقع رئيسية في المدينة ومناطق الريف، كما عمل على تجنيد مئات المدنيين ضمن ميليشيات محلية، يتبعون إلى أجهزته الأمنية، خاصة فرع الأمن العسكري.

وإلى جانب سيطرة النظام السوري أمنيًا على محافظة السويداء، من خلال فروع الأمن، والدور الأبرز لفرع الأمن العسكري لدرعا والسويداء، تنتشر عدة تشكيلات من الجيش السوري في المحافظة وعلى أطرافها، أبرزها الفرقة 15 قوات خاصة، التابعة للفيلق الأول، ويعتبر الفوج 404 دبابات التابع للفرقة 15 أبرز تشكيلات الجيش السوري، ويعتمد عليه النظام في فرض سيطرته على مناطق غربي السويداء.

وإلى جانب القوات العسكرية النظامية، دعَم النظام السوري تشكيل مجموعات محلية من المدنيين، تقاتل إلى جانب قواته، من أبرزها:

(22) د. طلال مصطفى- أ. وجيه حداد، انعكاسات شحّ مصادر الطاقة على الأنماط المعيشية والاجتماعية في سورية || مناطق سيطرة النظام، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، 2023، على الرابط التالي: https://cutt.us/RoHKy . آخر زيارة بتاريخ: 2023/4/8.

شكل رقم (1) يوضح مواقع تمركز قوات جيش النظام السوري في محافظة السويداء

**ميليشيات قوات «الدفاع الوطني"**، أو ما يطلق عليها ميليشيا «الشبيحة»، وتحظى هذه الميليشيا بعلاقة قوية بأجهزة أمن النظام السوري والميليشيات المدعومة من إيران، وهي القوة المحلية الضاربة التي يعتمد عليها النظام في مواجهة الاحتجاجات والمعارضين، ويمدّها جيش النظام السوري وأجهزة أمنه المختلفة بأسلحة رشاشة ومدافع هاون وقاذفات صواريخ محمولة، وتنتشر في معظم مناطق السويداء وريفها.

**ميليشيا «كتائب البعث»**، تتبع تنظيميًا وإداريًا لقيادة فرع حزب البعث العربي الاشتراكي في السويداء، وتشرف عليها بشكل مباشر الشعب الحزبية المتوزعة في مناطق انتشارها، ويبلغ عديدها نحو ألفي مقاتل، سلّحتهم أجهزة أمن النظام السوري بأسلحة فردية وأخرى رشاشة خفيفة ومتوسطة.

**ميليشيا «نسور الزوبعة»**، الذراع المسلح للحزب القومي السوري، ولا يزيد عدد أفرادها عن مئة عنصر، كلهم مسلحون من فرع الأمن العسكري بأسلحة خفيفة ومتوسطة.

وقد اضطلع «وفيق ناصر»، رئيس فرع المخابرات العسكرية في المحافظة، بدور بارز في تنفيذ سياسة النظام السوري الرامية إلى تعزيز

دور الميليشيات سابقة الذكر، وتشكيل عدد آخر من الميليشيات والفصائل المحلية، وساعده في ذلك موجة انشقاقات عشرات العناصر عن حركة رجال الكرامة المحلية، والتي سنتناولها في التقرير أدناه، وتشكيل مجموعاتهم الخاصة، إذ قدّم لها «ناصر» دعمًا ماليًا ولوجستيًا، وأمدها بالسلاح، ووفر لها الغطاء الأمني.

ويُرجّح أن النظام السوري سعى، من خلال نهجه لتشكيل ميليشيات مرتبطة به، إلى إضعاف دور حركة رجال الكرامة، التي رفض النظام التعامل والتعاون معها، واعتبرتها أجهزته الأمنية حركة معادية، يجب القضاء عليه أو على الأقل تحييدها عن المشهد[23].

ومع ارتفاع وتيرة المواجهات بين قوات النظام والمقاومة المسلحة لفصائل الثورة في مناطق سورية المختلفة، وخاصة في مناطق درعا المجاورة، أطلقت أجهزة النظام الأمنية يد المجموعات المحلية المسلحة الموالية له، ولم تقتصر أنشطتها على ملاحقة مؤيدي الثورة والمعارضين في المحافظة، والتنكيل بهم، حيث مارست معظم هذه الميليشيات أعمال السطو المسلح وسرقة السيارات وبيعها كاملة أو مفكّكة إلى قطع، بحماية أجهزة الأمن، كما بدأت بالظهور عمليات الخطف مقابل الفدية، وغالبًا ما كانت تستهدف تجارًا أو أشخاصًا مقتدرين ماديًا من داخل المحافظة أو من خارجها، أما القتل فقد أصبح خبرًا يوميًا على شبكات الأخبار المحلية.

ونجح النظام السوري، من خلال هذه المجموعات، في ترهيب سكان المحافظة وترويعهم، متجنبًا الاصطدام المباشر مع الأهالي، إذ مرّت السويداء بعدة منعطفات مهمة شكلت أساسًا لشكل سيطرة النظام عليها، ولعلّ أهمها عملية تفجير مقر المخابرات الجوية في المدينة، عام 2013، وهي العملية التي بقيت غامضة ولم يكشف الستار عن الجهة التي تقف خلفها، وكانت البداية لاستلام الأمن العسكري زمام الأمور بشكل فعلي وعلني، حيث بدأت بالظهور وبشكل كبير ظاهرة المتعاقدين الذين يحملون بطاقات أمنية صادرة عن فرع الأمن العسكري.

وعلى الرغم من هذا الوجود العسكري والأمني الكثيف للنظام السوري، ظهرت تشكيلات مسلحة محلية غير مرتبطة بالنظام وبأجهزته الأمنية، سمح لها بذلك أو اضطر إلى قبول ظهورها المسلح علنًا، وقيامها بأدوار أمنية محلية لم تشكل خطرًا جديًا على نفوذه وسيطرته الأمنية والعسكرية على المحافظة، دون اللجوء إلى ممارسة العنف بمواجهة قوى وشخصيات السويداء المعارضة، إلا في حالات محدودة.

ومن أبرز حالات مواجهات النظام مع فصائل المحافظة المحلية، واقعة اغتيال قائد حركة رجال الكرامة الشيخ «وحيد البلعوس» وعدد من قيادات الحركة، في تفجير مدبّر من قبل النظام على طريق «ضهر الجبل»، في الرابع من أيلول/ سبتمبر 2015، تبعه تفجير آخر أمام مشفى السويداء الوطني، أودى بحياة العشرات من المدنيين

وفي شهر تموز/ يوليو 2022، شهدت السويداء انتفاضة مسلحة لمجموعة من الفصائل المسلحة المحلية والمجموعات الأهلية، بهدف إنهاء ظاهرة فصيل «حركة قوات الفجر» التي كان يقودها المدعو راجي فلحوط، التابعة لشعبة المخابرات العسكرية، وكانت الحركة قد ارتكبت على مدى

(23) ليث أبي نادر-أمين العاصي، النظام السوري يستعجل تحييد حركة «رجال الكرامة» في السويداء، العربي الجديد، 2022، على الرابط التالي: https://cutt.us/TkZY8 . آخر زيارة بتاريخ: 2023/4/6.

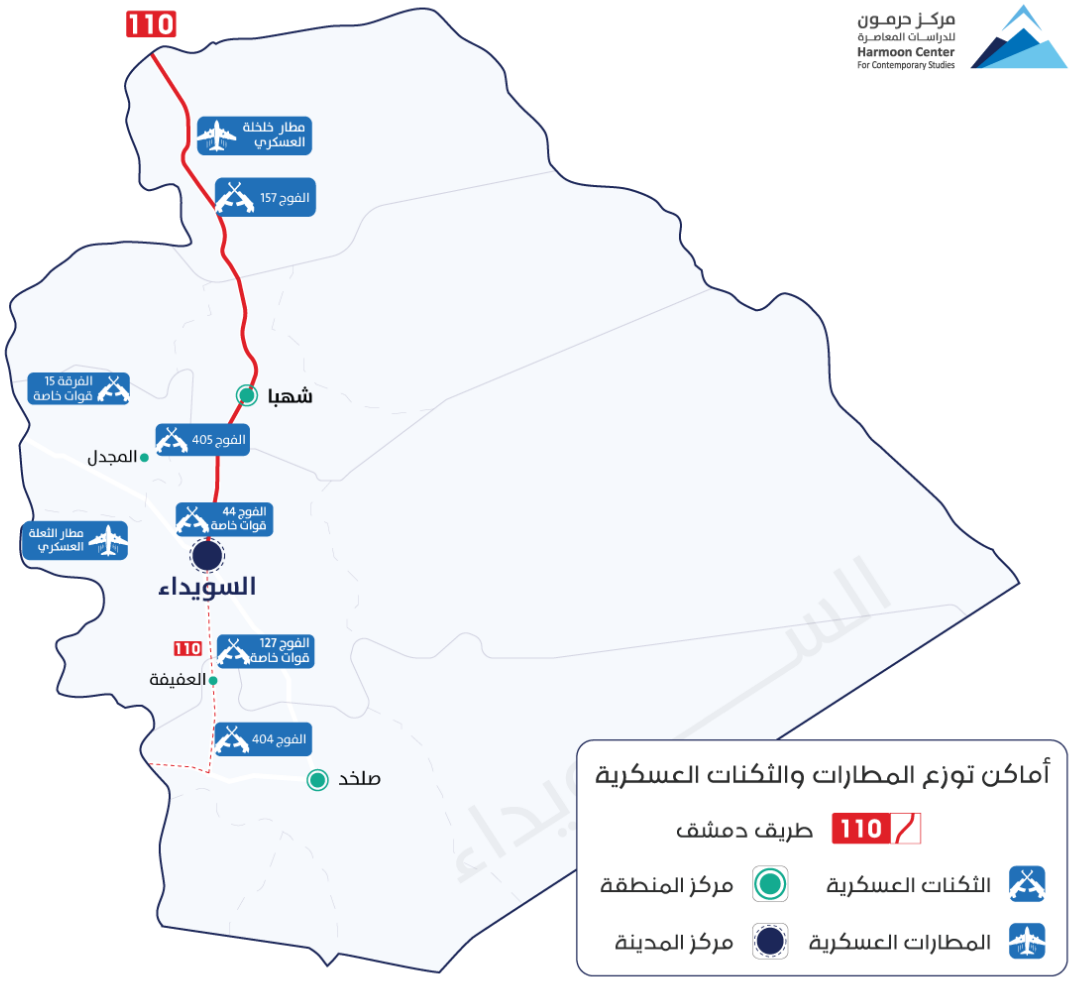


شكل (2) يظهر توزع الميليشيات الموالية للنظام السوري وإيران في السويداء

سنتين سابقتين كثيرًا من الانتهاكات بحق الأهالي[24]، وبدأت المواجهات بهجوم شنته مجموعة محلية من بلدة عريقة على حاجز تابع «لحركة قوات الفجر»، على طريق الحج في ريف السويداء الغربي، قبل أن تتجمع عدة فصائل في مقدمتها حركة رجال الكرامة، ومجموعات محلية، وتهاجم مقار حركة قوات الفجر، في بلدة سليم شمال المحافظة، وبلدة عتيل، معقل راجي فلحوط، الذي تمكن من الهرب، قبل أن تلقي الفصائل القبض عليه في 27 تموز/ يوليو 2022.

## نتائج تردي الأوضاع الأمنية والمعيشية

### هجرة الشبان في السويداء

شهدت المحافظة خلال العقد الأخير هجرة

(24) يعود السبب المباشر لاتخاذ فصائل السويداء قرار إنهاء حركة قوات الفجر، إلى حادثة اقتحام عناصر من الحركة مكان عمل مواطن في مدينة شهبا من آل الطويل، في 24 تموز/ يوليو من العام 2022، واقتياده بالقوة إلى مقر الحركة في بلدة سليم، بتهمة تبعيته لحزب اللواء السوري وحصوله على تمويل من الخارج لاغتيال قادة الحركة، إضافة إلى قيام الحركة بعدة عمليات خطف للمدنيين، تركز معظمها في مدينة شهبا، وفشل المفاوضات مع الحركة للإفراج عن المختطفين.

واسعة لشبانها إلى بلاد المهجر، هربًا من التضييق الأمني، وبحثًا عن عمل واستقرار وإعالة عائلاتهم في الداخل، ووفقًا لمصادر من داخل إدارة الهجرة والجوازات في السويداء، فإن عدد الشبان الذين تقدّموا للحصول على جواز سفر منذ عام 2011 حتى عام 2020 في المحافظة بلغ 24 ألف شخص، وأن أعمارهم تراوح بين 19 و39عامًا[25]، خاصة بهدف الهجرة للدراسة في ألمانيا وغيرها من الدول الأوروبية.

إلا أن مصادر أخرى ترجح أن تكون الأعداد الحقيقة لمن هاجر خارج المحافظة إلى المهجر هو أكبر بكثير، خاصة أن آلاف الشباب هاجروا من دون الحصول على وثائق سفر نظامية[26]، فمعظم الشبان باتوا خلال العقد الأخير يتهربون من خدمة جيش النظام السوري الإلزامية، إما التزامًا بالحياد، وإما لعدم وجود قانون ينظم مدة الخدمة الإلزامية أو الاحتياط، وسوء المعاملة من الضباط، والفساد المستشري في المؤسسة العسكرية، ما دفعهم إلى سلوك طرق غير شرعية للهجرة، وتوجههم إلى لبنان، ومن ثم إلى أوروبا ودول أخرى.

إن **أبرز الأسباب** التي دفعت الشبان إلى الهجرة هو أن الشريحة الأكبر في السويداء باتت على خط الفقر والفقر المدقع، كما باقي السوريين في مناطق سيطرة النظام السوري[27]، بالإضافة إلى تردي سوق العمل ومتطلباته التي لا ترتبط ارتباطًا وثيقًا بتأهيلهم، كما أن ارتفاع معدّل البطالة لعب دورًا أساسيًا في ارتفاع معدّل الهجرة، حيث زاد معدل البطالة وفق مسح رسمي عن 24% من قوة العمل في السويداء، عام 2017[28]، كما برزت مشكلة الاستقالات من الوظيفة العامة، خاصة في قطاعي الصحة والتعليم، بسبب تدني قيمة الأجور وعدم كفايتها لتوفير متطلبات المعيشة[29]، إضافة إلى انتشار العصابات المدعومة أمنيًا، التي تمتهن السرقة والخطف والتعذيب وحتى القتل، وتجارة وتوزيع المخدرات، ما جعل عددًا لا بأس به من شباب السويداء عرضة للأذى لأسباب مختلفة أو حتى دون أسباب، الأمر الذي لعب دورا كبيرًا في نقص اليد العاملة من الشباب، ونقص الكوادر العلمية والتعليمية والحرفية والمهنية من كافة الاختصاصات، ما أدّى إلى تراجع القطاعات التعليمية والصحية والمهنية والصناعية، فضلًا عن ارتفاع نسبة الإناث وارتفاع معدل العنوسة في المحافظة، وهي ظاهرة تعم كافة مناطق سيطرة النظام، وهي الخطر الأكبر الذي يتهدد مستقبل سورية.

### تفشي الاتجار بالمخدرات وتعاطيها

إنّ حالة الفوضى الأمنية وانتشار العصابات المسلحة، واعتماد النظام السوري والميليشيات المدعومة من إيران، على صناعة وتجارة المخدرات باعتبارها أبرز مقومات اقتصاد الحرب التي لجأ إليها النظام وحلفاؤه لتمويل أنشطتهم، ساهمت

(25) سامي العلي، الهجرة.. هاجس يلاحق شبابًا وأصحاب كفاءات في السويداء، نورث برس، 2020، على الرابط التالي: https://npasyria.com/40123/ . آخر زيارة بتاريخ: 2023/4/6.

(26) للمزيد، انظر: المماطلة والفساد يعيقان سفر آلاف السوريين، موقع العربي الجديد، https://cutt.us/Zfufw، تاريخ الزيارة، 29،5،2023.

(27) اللجنة الدولية للصليب الأحمر، أكدت في بيان لها أن نحو 90 بالمئة من السوريين يعيشون تحت خط الفقر، وإن أكثر من 15 مليون شخص بحاجة إلى مساعدات إنسانية، للمزيد، انظر: موقع اللجنة الدولية للصليب الأحمر، https://2u.pw/5wnMyoF، تاريخ الزيارة، 17،6،2023.

(28) للمزيد، انظر: المسح الديموغرافي الاجتماعي المتكامل المتعدد الأغراض لعام 2017، المكتب المركزي للإحصاء، http://www.cbssyr.sy/Demographic/Demographic_2017_2018.pdf تاريخ الزيارة: 1،6،2013

(29) وفق تصريحات هاني أيوب، رئيس اتحاد عمال السويداء، فقد استقال 400 موظف عام، في محافظة السويداء، خلال الأشهر الأربعة الأولى من العام 2023، نتيجة تدني الرواتب والأجور، للمزيد، انظر: "أرقام مفزعة".. موجة استقالات غير مسبوقة تضرب القطاع العام في السويداء، موقع تلفزيون سوريا، https://2u.pw/0TebGsV تاريخ الزيارة، 1،6،2023.

في جعل محافظة السويداء سوقًا ومعبرًا لتجارة المخدرات، باعتبار المحافظة نقطة عبور إلى الأردن، حيث انتشرت هذه التجارة في بداية الأمر من خلال مجموعات أمنية تابعة للنظام السوري، ترتبط بصلات مع ميليشيا «حزب الله» اللبناني، حيث ظهر عدد من المروجين من أبناء السويداء ينتمون إلى مجموعات وميليشيات محلية، عملت بالاتجار بمادة «الحشيش» المخدر، ومن بعدها تطور الأمر إلى حبوب الكبتاغون، ومنها إلى مواد مخدرة أخرى كمادة «الميثامفيتامين» المعروفة بالشبو، وهي مادة خطيرة جدًا وتدخل في تركيب الكبتاغون، وتشير دراسة أجرتها منظمة (إيتانا) في حزيران/ يونيو 2023، إلى أن عدد المجموعات المتورطة في تهريب المخدرات في السويداء يبلغ نحو 64 مجموعة، تضم 716 فردًا، ويرتبط ما يصل إلى 79% من إجمالي شبكة المخدرات في السويداء بالاستخبارات العسكرية التابعة للنظام السوري[30].

تداعيات انتشار الاتجار بالمخدرات في المحافظة دفع حركة رجال الكرامة ممثلة بقائدها «وحيد البلعوس» الذي اغتيل في كانون الأول/ ديسمبر 2015، للوقوف أمام انتشار هذه الظاهرة، ومحاولة مواجهة العصابات المرتبطة بالمخدرات، ولم يتردد الشيخ وحيد البلعوس باتهام إيران وعناصر ميليشياتها المتعاملة مع النظام السوري في تصريف منتجات حزب الله اللبناني من المخدرات عبر السويداء، وهذا ما أكّده مجددًا نجل البلعوس، في فيديو نُشر أثناء زيارة وفد روسي لمقره في بلدة المزرعة، حيث اتهم فيه كلًّا من «علي مملوك» رئيس مكتب الأمن القومي، و«قاسم سليماني»، بالضلوع في تجارة المخدرات وتصريفها إلى الخليج العربي عبر السويداء[31].

**مراكز تجميع المخدرات في السويداء:** مع أن السويداء تعتبر مركزًا رئيسيًا لتجارة ونقل المخدرات، فإنها لم تكن مركزًا لمعامل تصنيع المواد المخدرة إلا في حالات محدودة جدًا[32]، وأكّد تقرير استقصائي لصحيفة «الجمهورية» أن معامل الإنتاج تتركز غالبًا في لبنان وأرياف دمشق وحمص، وبعد الإنتاج تبدأ جماعات مسلحة متعددة الولاءات بنقل الحمولة ضمن مناطق نفوذها، بحيث يحصل تسليم دوري من مجموعة إلى أخرى، وصولًا إلى الوجهة النهائية في مراكز التجميع جنوب سورية، وتعبر تلك الجماعات نقاط التفتيش بطرق مختلفة، منها الرشوة أو الارتباط المباشر بقوى أمنية وعسكرية تابعة للنظام، مثل الفرقة الرابعة وشعبة المخابرات العسكرية. وفي بعض الأحيان يتولى متعاقدون مدنيون مع هاتين الجهتين، لتنفيذ عملية نقل المخدرات عبر الحواجز الأمنية. وعند دخول محافظة السويداء، تنتهي مهمة المتعاقدين، حيث تُسلّم الحمولة لجماعات محلية مسلحة ذات نفوذ في مناطقها، وتنقل المخدرات إلى مراكز التجميع لتتولى شبكات جديدة داخلها عملية التهريب إلى الأردن[33].

وتتركز مراكز تجميع المخدرات في الجنوب في بلدتي «الشعاب» و«أم شامة»، في ريف السويداء الجنوبي الشرقي، ويعتبر «مرعي الرمثان»[34] أحد أكبر تجار المخدرات في المنطقة الجنوبية، وكانت تربطه قبل

(30) للمزيد انظر: سلاسل توريد المخدرات جنوبي سوريا، دراسة، منظمة ايتانا، حزيران 2023، https://cutt.us/9n3Ic آخر زيارة: 2023/7/1.

(31) اتهم إيران بنشر المخدرات والعصابات.. ليث البلعوس يلتقي وفدًا روسيًا في السويداء، موقع تلفزيون سوريا، https://2u.pw/hYvSrhi تاريخ الزيارة، 22،5،2023

(32) أنشأت ميليشيا حركة قوات الفجر، المدعومة من إيران والنظام السوري، التي كان يتزعمها المدعو «راجي فلحوط»، معملًا صغيرًا لكبس حبوب الكبتاغون المخدرة، في أحد مقار الحركة في بلدة «عتيل».

(33) ريان معروف، مخدرات بلا حدود، الجمهورية نت، 2022، على الرابط التالي: https://cutt.us/3ikpB .

(34) مرعي رويشد الرمثان الملقب «أبو حمزة»، قتل في غارة من طائرة مجهولة، يعتقد أنها تابعة للجيش الأردني، في 8 أيار/ مايو 2023، يعتبر أبرز شخصيات عشائر بدو السويداء، وقائد الميليشيا الأقوى في بادية السويداء، وأبرز المسؤولين عن شبكات تهريب المخدرات من سورية إلى الأردن، للمزيد انظر: https://cutt.us/l3nTA .

مقتله علاقات قوية مع كل من ميليشيا «حزب الله» اللبناني وشعبة المخابرات العسكرية التابعة للنظام السوري، إذ ينحدر «الرمثان» من منطقة «الشعاب» نفسها، ويقود ميليشيا من أبناء عشيرته، تخصصت بتوضيب وتهريب مخدر الكبتاغون والحشيش إلى الأردن.

ويؤكد شهود عيان في السويداء أن عصابات التهريب تستغل التضاريس الصعبة وانتشار الوديان في السويداء، مثل: وادي خازمة، وتستغل الأجواء المناخية الصعبة والضبابية لتحرك المهربين إلى الأردن سيرًا على الأقدام، وفي مجموعات يراوح عدد أفرادها بين 15 و20 شخصًا، حيث ينقل كل مهرب حمل مخدرات يزن نحو 30 إلى 35 كيلوغرامًا، ويلبسه كسترة شتوية، وتتألف الحمولة عادةً من (الكبتاغون والحشيش والترامادول والكريستال ميث)، ويتقاضى المهرّب الواحد ما بين 8-10 آلاف دولار، إذا نجح في إيصال حمولته إلى منطقة في الداخل الأردني تبعد عن الحدود مسافة 1 كم تقريبًا، حيث يسلّمها لأشخاص أردنيين ويعود إلى سورية.

وما يؤكد ارتباط «مرعي الرمثان» بأجهزة المخابرات السورية، إطلاق سراحه بعد أيام من اعتقالها له، في كانون الأول/ ديسمبر 2022، ليعود «الرمثان» إلى بلدته «الشعاب» وسط إطلاق نار أنصاره، وأكد «الرمثان»، في حديثه مع شبكة (السويداء 24)، خبر اعتقاله على حاجز العادلية على أوتوستراد دمشق-السويداء ونقله إلى المخابرات الجوية، كما أكّد تبعيته لشعبة المخابرات العسكرية، وقيادته لميليشيا مسلحة تابعة لها، زاعمًا أن سبب الاعتقال هو «تشابه أسماء»، إلا أنه نفى ترويجه وتجارته للمخدرات وعزا السبب إلى وجود مُخبرين ينقلون معلومات خاطئة، وأنه مستهدف نتيجة تأييده المعلن «للدولة»، بحسب قوله.

وتنتشر المخدرات بين فئة اليافعين والشباب وخاصة الأعمار التي تراوح بين 14 و27عامًا، ومنذ عام 2015 حتى عام 2021، وبحسب تصريح لطبيب نفسي ومرشد اجتماعي، عملا على متابعة حالات إدمان المخدرات في المحافظة، وتابعا 90 حالة إدمان في صفوف اليافعين والشباب، وأكدا أن الأعداد الحقيقية في السويداء تتجاوز ذلك بكثير[35].

### ازدياد معدلات الجريمة

أدى الفلتان الأمني إلى ارتفاع معدلات الجريمة في المحافظة، وانتشار السلاح العشوائي، وأدى ذلك إلى زيادة كبيرة في حالات الخطف بهدف طلب الفدية، وجرائم الثأر، والسلب بالعنف. وتعكس أرقام الإحصائيات نتائج مروعة لظاهرة ارتفاع معدلات الجريمة، حيث أكدت تصريحات المدير العام لهيئة الطب الشرعي، زاهر حجو، في مناسبات عديدة، هذه الارتفاعات، إذ أشار إلى أن محافظة السويداء شهدت 52 جريمة قتل عام 2020، و66 جريمة قتل، و14 حالة انتحار عام 2021، ونحو 225 جريمة عنف ضد النساء، في النصف الأول من العام 2022[36].

في حين سجلت شبكات رصد محلية مقتل 157 شخصًا، وإصابة 102 آخرين، في السويداء نتيجة حوادث عنف متفرقة، في العام 2022، ومقتل 134 شخصًا، وإصابة 90 آخرين، في العام 2021، ومقتل 137 شخصًا، وإصابة 171 آخرين، خلال العام 2020[37].

وتؤكد مصادر راصدي مركز حرمون في السويداء أن دعم فرع الأمن العسكري لأفراد العصابات

(35) سامي العلي، رواج المخدرات بين شباب السويداء وسط غياب مراكز علاج، نورث برس، 2021، على الرابط التالي: https://npasyria.com/73232/ . آخر زيارة بتاريخ: 2023/4/7.

(36) للمزيد، انظر، موقع جريدة الوطن السورية، https://alwatan.sy/archives/188431

(37) انظر موقع السويداء24، https://suwayda24.com/?cat=10&paged=3 ، تاريخ آخر زيارة 2023/2/1.

الإجرامية لم يقتصر على الأسلحة فقط، بل أمّن لهم غطاء وحماية من الملاحقة الجنائية والقضاء أيضًا، ومن الشواهد على ذلك حادثة الإفراج عن المتهم «علاء فليحان»، الذي أطلقت الأجهزة الأمنية سراحه في كانون الثاني/ يناير 2018، بعد أن كان من بين المتهمين بقتل المواطن «سميح أبو عاصي" في بلدة مياماس جنوبي السويداء.

وفي حالة أخرى، أفرجت السلطات الأمنية التابعة للنظام، في أيلول/ سبتمبر 2019، عن عشرات المتهمين بالانتماء إلى عصابات إجرامية من بلدة (عريقة) شمال غربي السويداء، نسبت إليهم جرائم خطف وسرقة، بعد إجرائهم «تسويات أمنية» بوساطة مباشرة من المدعو نزيه جربوع، قائد فصيل «حماة الديار» الموالي للنظام السوري، وبضمانة مفتي النظام أحمد حسون. وهناك كثير من حوادث تسليم أهالي المحافظة أفرادًا من تلك المجموعات الإجرامية إلى فرع الأمن الجنائي، ليصار إلى إطلاق سراحهم لاحقًا، إما مباشرة وإما بعد سجنهم مدة قصيرة، وشُمل بعضهم بقوانين العفو الجنائي دون وجه حق.

### تجنيد الشبان من قبل القوات الروسية

استغلت روسيا وجود عناصر من الشرطة العسكرية الروسية في السويداء، وأطلقت مطلع العام 2020 حملة لتجنيد شبان السويداء، للقتال ضمن مجموعات مرتزقتها في ليبيا، وافتتحت مراكز غير رسمية للتجنيد في السويداء وشهبا وصلخد، والتحق مئات الشبان كمقاتلين في صفوف الميليشيات الروسية، وذلك نتيجة سوء الوضع الاقتصادي والفقر والعوز وارتفاع معدلات البطالة، وللهروب من الخدمة الإلزامية، وساندت القوات الروسية في تلك الحملة جهاتٌ عدّة محسوبة على النظام السوري وروسيا، من بينها ميليشيات مدعومة من إيران، وشركات أمنية مدعومة من روسيا، إضافة إلى ميليشيات محلية تابعة لأجهزة المخابرات السورية، وكان أبرز من استقطب هؤلاء الشبان هي مجموعة مرتزقة «فاغنر».

وتؤكد وثائق كشفت عنها شبكة «السويداء 24» (المختصة بنقل ومتابعة أخبار السويداء)، أن «حزب الشباب الوطني السوري» ضالعٌ بالسعي لتجنيد مرتزقة من مناطق سورية مختلفة، منها السويداء، لزجهم في ليبيا، بدعم من مجموعة «فاغنر»، وأن الحزب ذاته متورط في تجنيد مواطنين سوريين ضمن ميليشيات مسلحة منذ العام 2014، للقتال في محافظات مختلفة، عبر مكاتب الحزب المنتشرة في معظم المحافظات، إذ يتولى أمين كل فرع عمليات التجنيد في المحافظة التي هو فيها، وتولى أمين فرع الحزب في السويداء المدعو «شبلي الشاعر»، ملفّ تجنيد مئات الشبان في السويداء، خاصة خلال العام 2021، مقابل تسوية أوضاع المطلوبين منهم بقضايا جنائية أو تخلفهم عن الخدمة الإلزامية والاحتياطية، وبعضهم كانوا عناصر سابقين في ميليشيات موالية للنظام، لإرسالهم إلى ليبيا، أو للقتال إلى جانب قوات النمر المدعومة من روسيا، وبتنسيق مع ميليشيا فوج مغاوير البادية، التابعة للمخابرات العامة فرع 221، في تدمر ودير الزور ومناطق سورية أخرى، وكانت عمليات التجنيد تتم بشكل منظم وبعقود ورواتب شهرية تراوح بين 1000 إلى 1500 دولار أميركي شهريًا، للمقاتلين معهم خارج سورية، أما في الداخل فكانت رواتبهم نحو 150 ألف ليرة سورية، أي نحو 40 دولار أميركي[38].

ويعمل عدد من ضباط وصف ضباط جيش

(38) حزب الشباب الوطني السوري: حزب الشباب الوطني السوري هو حزب سياسي تمت الموافقة عليه في 14 آذار/ مارس 2012، بعد الاستفتاء على الدستور السوري 2012 الذي أدخل انتخابات متعددة الأحزاب في سورية. يصف الحزب نفسه بأنه ليس «مؤيدًا أو مناهضًا للحكومة»، لكنه يقول إنه بينما «يعارض المخالفات»، فإنه يعمل «تحت مظلة سوريا والوطن والرئيس بشار الأسد»، الأمين العام للحزب هو نبيل مرهاج، والمؤسس المشارك والمتحدث باسمه هو ماهر مرهج، للمزيد انظر: https://cutt.us/w7q2D .

النظام، كوسطاء وسماسرة، بالتنسيق مع القوات الروسية والشركات الأمنية، مقابل حصولهم على مبالغ مالية معينة مقابل تجنيد كل عنصر، تراوح بين 100 و200 دولار أميركي، وهناك العديد من الشركات الأمنية التي تعمل في هذا المجال، منها شركة «الصياد» للحراسات الأمنية، التي تعدّ أحد أذرع شركة «فاغنر» الروسية، وفقًا لوثائق حصل عليها موقع «تلفزيون سوريا»[39].

(39) برواتب تصل إلى 3 آلاف دولار.. تجنيد شبان من السويداء كـ«مرتزقة» لصالح روسيا، تلفزيون سوريا، 2021، على الرابط التالي: https://cutt.us/gNjni ، آخر زيارة بتاريخ: 2023/4/8.

## ثالثًا: الأدوار الإقليمية والدولية في السويداء

### الوجود الإيراني في السويداء خلال العقد الأخير

سعت إيران لاختراق محافظة السويداء عبر عدة طرق ومحاولات، مثل زيارة وفود وشخصيات محسوبة عليها لوجهاء ومشايخ العقل. وباءت محاولات تشييع عدد من أبناء المحافظة بالفشل، باستثناء بعض المهمشين غير المؤثرين، كما تمكنت عبر بعض الوسطاء من شراء بعض الأراضي والعقارات بمبالغ كبيرة، دون تأثير ملحوظ على هذا الصعيد، وشكّل تماسك المجتمع ووعيه بمخاطر المخطط الإيراني حجر عثرة في طريق تمدد النفوذ الإيراني، ما دفع قادة عسكريين موالين لإيران إلى اتباع خطة بديلة تمثلت في تشكيل ودعم عصابات مسلحة محلية تحت أنظار أجهزة أمن النظام السوري، وبتسهيلات منها، بعد إغراء عدد من المسلحين بمبالغ عالية كأجور شهرية، ومن أبرز المجموعات المسلحة التي تخضع للنفوذ الإيراني في السويداء ميليشيا «الدفاع الوطني» التي تنتشر في معظم أرجاء المحافظة.

وبتنسيق مع فرع المخابرات العسكرية في السويداء، خضعت جميع الميليشيات والعصابات المتعاملة والمتعاونة مع فرع المخابرات العسكرية للنفوذ الإيراني، وتولّت مهام ترهيب المدنيين، وتنسيق أعمال توضيب وتجارة المخدرات من جهة، وأطلقت يد عناصرها في جرائم القتل والخطف مقابل الفديات.

ونظرًا لأهمية المخدرات، كمصدر أساسي لتمويل الميليشيات المدعومة من إيران، في ظل تراجع النفوذ الروسي في جنوب سورية بعد اندلاع الحرب في أوكرانيا؛ بسطت المجموعات المسلحة المدعومة من إيران نفوذها في مدينة السويداء وريفها الجنوبي والجنوبي الشرقي، لضمان التحكم في خط تهريب المخدرات إلى المملكة الأردنية أولًا، وتحويل مدينة السويداء إلى سوق لتصريف فائض التصدير من المخدرات، كما دعمت ميليشيا «حركة قوات الفجر» لإنشاء معامل صغيرة لصناعة الكبتاغون في المحافظة، حيث عثر الأهالي على «مكبس» لصناعة الكبتاغون في أحد مقار الحركة في بلدة «عتيل»، بعد أن شنت ميليشيات محلية ومجموعات أهلية حملة للقضاء على الحركة في تموز/ يوليو 2022.

ونشرت إيران عناصر مقاتلة ومستشارين عسكريين وعناصر رصد ومراقبة من ميليشيا الحرس الثوري وميليشيا «حزب الله» اللبناني، والميليشيات المحلية التابعة لها، في مواقع عسكرية تابعة للنظام السوري، في محاولة للضغط على «إسرائيل»، ما أدى إلى شنّ جيش الاحتلال الإسرائيلي عدة هجمات ضد هذه المواقع، من بينها موقع «تل الصحن» قرب بلدة ملح شرقي السويداء، وموقع «تل قينة» شرقي بلدة الكفر، وهما موقعان تابعان لقوات الدفاع الجوي في جيش النظام، واستهدفت فيهما الهجمات الإسرائيلية منصات رادار يشرف عليها مستشارون إيرانيون[40].

(40) تعرض موقع تل الصحن، وموقع تل قنية، لاستهدافات متكررة من جيش الاحتلال الإسرائيلي، تركزت في الأعوام 2018، 2019، 2020، ودمرت الهجمات الإسرائيلية منصات الرادار فيهما.

## النفوذ الروسي في السويداء

بعد أن كانت المنطقة الجنوبية تخضع لتفاهمات روسية-إيرانية، يتقاسم من خلالها كلا الطرفين النفوذ عليها؛ بدأ النفوذ الروسي بالتراجع بعد الغزو الروسي لأوكرانيا مطلع العام 2022، مقابل تمدد النفوذ الإيراني، وسيطرة إيران على معظم الميليشيات الموالية للنظام السوري في محافظة السويداء. واقتصر الدور الروسي في محافظة السويداء على توزيع بعض المساعدات الغذائية، بين الفينة والأخرى، وإدارة حملات تجنيد الشبان للقتال في صفوف مجموعات مرتزقة مرتبطة بها.

## الدور الإسرائيلي - الشيخ موفق طريف

تعمّدت حكومات الاحتلال الإسرائيلي موقف الغموض في بداية الصراع في سورية، وكرّر مسؤولو الاحتلال تبنيهم سياسة «النأي بالنفس»، حتى إن بنيامين نتنياهو طلب من مسؤولي حكومته عدم التعليق على الأحداث في سورية، لكن كثيرًا من المتغيرات طرأت على الموقف الإسرائيلي بفعل تطور الأحداث، وتزايدت مؤشرات الاهتمام المباشر من الاحتلال بالوضع في سورية، لتصل إلى حد شن مئات الهجمات والضربات الجوية، ابتداء من عام 2013 حتى الآن[41].

ومع بروز دور إسرائيلي في مناطق الجنوب السوري، بطابع دعم إغاثي وإنساني للمناطق المنكوبة من هجمات النظام السوري ضد فصائل المعارضة، بقي الدور الإسرائيلي محدودًا وحذرًا، ولم يبرز إلى العلن إلا في مرات قليلة، كان من أبرزها إعلان جيش الاحتلال الإسرائيلي في 3 تشرين الثاني/ نوفمبر 2017، استعداد قواته لمساعدة سكان قرية حضر في القنيطرة، وهم من طائفة الموحدين الدروز، في مواجهة فصائل مسلحة إسلامية، جبهة النصرة (هيئة تحرير الشام حاليًا)[42]، محسوبة على المعارضة السورية، كانت على وشك اقتحام القرية وطرد قوات النظام السوري والمقاتلين المحليين منها، وسمح جيش الاحتلال آنذاك لشبان من دروز قرية مجدل شمس في الجولان، الخاضعة للاحتلال الإسرائيلي، بعبور سياج فك الاشتباك الأمني لمساعدة أقاربهم في قرية حضر.

وجاءت مساعي الشيخ موفق طريف، الرئيس الروحي لطائفة المسلمين الموحدين الدروز في فلسطين المحتلة، في مطلع العام 2022، للضغط على روسيا لتأمين الحماية لسكان السويداء، وترسيخ مكانة وموقع الدروز في «الدستور السوري القادم»، لتأكد اهتمام الاحتلال الإسرائيلي بأوضاع الجنوب السوري، وخاصة طائفة الموحدين الدروز. وبالرغم من أن الشيخ طريف برر زيارته لموسكو والتحدث نيابة عن دروز سورية، بأنه اهتمام من منطلق واجبه الديني والاجتماعي، انطلاقًا من تبنيه مبدأ «حفظ الإخوان»، فإن من غير المتصور أن يُقدم على خطوته هذه دون تنسيق مع الاحتلال الإسرائيلي، خاصة أنه يحظى بمكانة خاصة لدى قادة الاحتلال، فقد شارك «طريف» في احتفالية ما يسميه الاحتلال «عيد الاستقلال»، في نيسان/ أبريل 2018، وأوقد «طريف»، إضافة إلى 12 شخصية أخرى، «شعلة الاستقلال» بجانب رئيس وزراء الاحتلال الإسرائيلي بنيامين نتنياهو.

## الدور الأميركي في السويداء

لا تبدي الولايات المتحدة اهتمامًا ملحوظًا بمحافظة السويداء، رغم الأنباء التي تؤكد سعي واشنطن لتشكيل قوة عسكرية في المنطقة الجنوبية،

(41) شن الاحتلال الإسرائيلي أولى هجماته في الأراضي السورية بعد انطلاق الثورة، في كانون الثاني/ يناير 2013، بضربة جوية استهدفت شحنات أسلحة مضادة للطائرات، قرب مركز البحوث في جمرايا بريف دمشق.

(42) الجيش الإسرائيلي يؤكد استعداده لحماية قرية للدروز في سوريا، موقع dw.com، على الرابط التالي: https://cutt.us/61QTH. آخر زيارة بتاريخ: 2023/4/10.

على أن تضم هذه القوة عناصر مقاتلة من السويداء ودرعا والقنيطرة، وتتبع بولائها للقوات الأميركية المتمركزة في قاعدة التحالف الدولي في التنف، وقد تزايدت التكهنات حول هذا المشروع بعد اجتماع ضمّ كلًا من فصيل «جيش مغاوير الثورة» الذي تدعمه واشنطن ويمركز في قاعدة التنف، وفصيل «قوات شيخ الكرامة» الذي يقوده الشيخ ليث البلعوس، ومجموعة الشهيد خلدون الزعبي من درعا، بهدف إنشاء غرفة عمليات مشتركة في المنطقة الجنوبية، للحد من تمدد نفوذ الميليشيات التي تدعمها إيران، دون أن تسجل خطوات جدية على هذا الصعيد.

## دور الأطراف اللبنانية الدرزية المؤثرة في السويداء

حالهم حال معظم السوريين، في ظل إحكام النظام السوري سيطرته على المجتمع السوري، افتقر أبناء السويداء إلى القادة السياسيين المؤثرين، وساهم ذلك في إفساح المجال للعب زعماء الطائفة الدرزية في لبنان دورًا في التأثير في مواقف أبناء طائفتهم في سورية بعد اندلاع الثورة السورية.

وسجل موقف مبكر لوليد جنبلاط، رئيس «الحزب التقدّمي الاشتراكي» في لبنان، بانحيازه إلى مطالب الثورة، مدفوعًا بخلافاته العميقة السابقة مع النظام السوري، في حين برز انحياز الزعيم الدرزي اللبناني الآخر طلال أرسلان، رئيس «الحزب الديمقراطي اللبناني» إلى النظام السوري، وذهب وئام وهاب «رئيس حزب التوحيد العربي» بعيدًا في دعمه للنظام السوري، إذ أرسل مجموعات مسلحة من محازبيه للمشاركة في قمع الحراك الثوري في سورية، وتقديم الدعم المالي، والأسلحة، لتشكيل ميليشيا محلية في السويداء لذلك الغرض، ما لبثت أن تفككت وانخرط مقاتلوها في ميليشيات الدفاع الوطني، وعصابات إجرامية، سبق ذكرها.

الانقسام في مواقف زعماء دروز لبنان ومحاولاتهم التأثير ولعب أدوار في الحدث السوري، وجد له أرضًا خصبة في مواقف أبناء السويداء، المنقسمة أيضًا حيال الثورة ونهج النظام العنفي في مواجهتها، وهو ما يعكس بروز ملامح حالة شعور بالانتماء القبلي الطائفي، مقابل ضعف الهوية الوطنية، ساهمت فيها لعبة الاستقطابات التي عمل عليها النظام خلال سنين حكمه الطويلة.

# رابعًا: القوى المحلية الفاعلة في السويداء

## 1. القوى المدنيّة في السويداء

### 1.1. تجمع القوى الوطنية في السويداء

يعتبر التجمع أحد أبرز الأجسام السياسية والاجتماعية في السويداء، ويضم عددًا من التيارات والأحزاب السياسية المعارضة، منها اللجنة الوطنية، والهيئة الاجتماعية للعمل الوطني، التي انضمت إلى التجمع لاحقًا، وقد صدر أول بيان للتجمع يعلن انضمامه إلى حراك الشعب السوري من أجل الحرية والعدالة والديمقراطية والدولة المدنية التعددية، عام 2011، بعد تنسيق بين نحو 16 هيئة سياسية وثقافية واجتماعية ولجان تنسيقية مثل: تجمّع المهندسين السوريين الأحرار في السويداء، تنسيقية السويداء، تنسيقية حرائر الثورة السورية في السويداء، نقابة المحامين الأحرار، وذلك بتوقيع 500 ناشط ومؤيد من أبناء محافظة السويداء داخل سورية وخارجها، وكان للتجمع دور بارز وحضور دائم في الاعتصامات والاحتجاجات السلمية المتواصلة في السويداء، منذ بداية الثورة السورية.

وإلى جانب حضوره السياسي، ينشط التجمع في مجالات الدعم الإغاثي، كما ساهمت الهيئة الاجتماعية للعمل الوطني في جهود الحفاظ على السلم الأهلي وحل النزاعات، وسجلت حضورًا بارزًا في التقريب بين الأطراف المتصارعة والإفراج عن المخطوفين، خاصة خلال الأحداث التي وقعت أكثر من مرة بين قوى مختلفة من محافظتي درعا والسويداء.

### 1.2. الشخصيات الأكثر فاعلية على مستوى السويداء

- **لؤي الأطرش**: يُعدّ واحدًا من الزعامات المحلية في السويداء، وهو أمير تجمع «دار عرى"، ويستمد حضوره الاجتماعي من دور الزعامة التقليدية الذي لعبته عائلة الأطرش في أوساط الطائفة الدرزية، وعموم الجنوب السوري، على مدى عشرات السنين، ويتمتع لؤي الأطرش بعلاقات وثيقة مع النظام السوري وزعامات الطائفة الدرزية في كلّ من لبنان وفلسطين، وحاول الأطرش العمل على جمع فصائل وقوى السويداء ضمن تكتل موحد، ونادى باللامركزية لمحافظة السويداء، إلا أن الشكوك من نيته تحييد وإضعاف دور حركة «رجال الكرامة»، حالت دون تجاوب القوى والفصائل في السويداء مع دعوات الأطرش.

- **عاطف هنيدي**: أحد أبرز وجهاء آل هنيدي في السويداء، ومن الشخصيات التي تحظى بحضور اجتماعي بارز وتقدير من أبناء المحافظة وخارجها، ويشار إليه من خلال جهوده في السعي للحفاظ على السلم الأهلي، وحل الخلافات، خاصة خلال النزاعات مع قوى ومجموعات من درعا التي يتمتع بعلاقات طيبة مع أغلبية وجهائها، إضافةً إلى دعمه للمطالب الشعبية في الاعتصامات والاحتجاجات السلمية.

- **سليمان عبد الباقي**: وهو قائد مجموعة أحرار الجبل، وهناك اتهامات كثيرة له بالتعامل مع الأمن العسكري تارة، وانضمامه إلى ميليشيا قوة مكافحة الإرهاب تارة أخرى، لكنه يمتلك قاعدة شعبية جيدة على مستوى المحافظة، خاصةً بعد أن شارك في تنظيم عدد من الاعتصامات التي

طالبت بتحسين الواقع الخدمي والوضع المعيشي، وآخر تحركات الشيخ عبد الباقي كانت محاصرة مؤيدين له فرع المحروقات في كانون الثاني/ يناير 2022، احتجاجًا على عجز حكومة النظام السوري عن توفير مخصصات أهالي السويداء من وقود التدفئة، وقد أسفر هذا التحرك عن إنهاء تكليف مدير فرع محروقات السويداء، وتعيين مدير جديد بعد أن اشتكى أهالي السويداء من فساده لسنوات عديدة.

### 1.3. دور مشيخة العقل في السويداء وموقفها من الحراك الثوري

تتمتع مشيخة العقل في السويداء بقوة ذات طابع ديني واجتماعي[43]، وتستمد سلطتها من حضورها الفاعل ودورها، كمرجعية روحية حافظت على تماسك وخصوصية البنية الاجتماعية للطائفة التي تولي العرف والعادات مكانة بارزة. ومع انطلاق الثورة السورية واضطرار مشيخة العقل للانخراط في معترك الصراع السياسي، تبنت المشيخة موقفًا مؤيدًا للنظام السوري، ما كشف عمق مأزق المؤسسات الدينية التي تمكن النظام من إحكام قبضته عليها، والتأثير في قرارها. وأدّى موقف مشيخة العقل المنحاز إلى النظام، ودعواتها المجتمع في السويداء لتبني مقولاته وسرديته عن الصراع، إلى زعزعة الثقة بها، ودفع جزءًا من أبناء محافظة السويداء إلى الخروج أكثر من عباءة مشايخ العقل.

كما أدى موقف مشيخة العقل بإدانة المؤيدين للحراك ضد النظام، إلى مزيد من الانقسام المجتمعي حول مكانة مشيخة العقل وسلطتها ودورها، ففي العام 2014 أعلن مشايخ العقل رفضهم لحركة رجال الكرامة، وهاجموا مؤسسها «وحيد البلعوس»، وأصدروا ضده «البعد الديني»، وهو الحرمان الذي يطلقه مشايخ العقل على الرجل المتدين، إذا رأوا في أقواله وأفعاله انتهاكًا لقواعد الدين، وهذا الموقف أجمع عليه المشايخ، باستثناء حمود الحناوي الذي حافظ على علاقة طيبة بالشيخ وحيد البلعوس إلى حين اغتياله، إلا أن موقف الحناوي، بعد الانفجارين اللذين ضربا محافظة السويداء ومقتل الشيخ البلعوس مع أربعين آخرين من أبناء المحافظة، لم يكن مُرضيًا لأهالي السويداء، ولم يترجم في تحرك جدي للضغط من أجل التحقيق في القضية ومحاسبة المجرمين.

ومما ساهم أيضًا في مزيد من الانقسام حول مشيخة العقل، وتراجع مكانتها، تزعّم المدعو «حسين جربوع»، وهو أحد أقرباء الشيخ يوسف جربوع شيخ عقل الموحدين الدروز، فصيلَ «حماة الديار" المؤيد للنظام السوري، والشكوك بخصوص حمايته للميليشيات التابعة لفرع المخابرات العسكرية، وعلى رأسها مجموعة المدعو «معتز مزهر»[44].

وأدّى تراجع مكانة مشيخة العقل إلى اقتصار دور المشايخ على فض النزاعات وعقد الصلح بين الأطراف المتنازعة، والتوسط لدى سلطات النظام في تأمين بعض الامتيازات للمقربين منهم، وبرز على هذا الصعيد دور كل من «الشيخ حمود الحناوي، والشيخ يوسف جربوع»، في ظل انحسار تأثير مشيخة العقل، وتراجع الثقة بها من قبل المجتمع الذي بدأ يتحرك ضمن ديناميات جديدة، بفعل نشاط ومبادرات شخصيات من خارج مشيخة العقل، وبمعزل عنها، حيث تولى جيل جديد من الناشطين تنظيم الحركات والاحتجاجات تنديدًا بالوضع المتردي أمنيًا ومعيشيا[45].

(43) يرجع ظهور منصب "شيخ العقل" إلى مرحلة نظام الملة التركي، وقد تطور من صيغة ناطق باسم مجموعة "العقال"، انظر: بريجيت شيبلر، "انتفاضات جبل الدروز-حوران"، بيروت، دار النهار، 2004، ص18.

(44) معتز مزهر متزعم ميليشيا "مزهر" العسكرية المقربة من "الأمن العسكري" التابع للنظام السوري.

(45) ظهر عجز مشيخة العقل واضحًا في معظم الأزمات التي شهدتها محافظة السويداء خلال سنوات الثورة، خاصة الانفلات الأمني وسطوة المجموعات الإجرامية وتزايد جرائم قتل وخطف المدنيين وانتشار المخدرات في السويداء وتجنيد الشبان كمرتزقة في صفوف ميليشيات روسية

لكن في العامين الماضيين استعادت مشيخة العقل شيئًا من مكانتها في المجتمع، نتيجة تغيّر في الاصطفافات السياسية لبعض مشايخ العقل، فقد تبنى الشيخ حكمت الهجري مواقفَ مناهضةً للنظام السوري، بعد تعرضه للإهانة من قبل رئيس فرع المخابرات العسكرية «لؤي العلي»، وأعلن «الهجري» تأييده للحراك الشعبي منذ نيسان/ أبريل 2021، في حين أن الشيخين الحناوي وجربوع كانا على الضد، أو ظهر موقفهما كذلك، عندما شاركا في تلك الفترة في الحملة الانتخابية الداعمة لترشيح بشار الأسد لولاية رئاسية رابعة، وفي العام 2022، إثر اندلاع الاحتجاجات في السويداء تنديدًا بالوضع المعيشي والتدهور الاقتصادي؛ جدد الشيخ «حكمت الهجري» تأييده للحراك ودعمه للمطالب الشعبية، الأمر الذي قوبل بالترحيب والاستحسان من قبل المتظاهرين، وهو ما أكده سليمان عبد الباقي في أحد خطبه أثناء الاحتجاجات، إذ أعلن مطالب الحراك الشعبي، واستهلّه بتوجيه التحية للشيخ حكمت الهجري على موقفه الداعم للمتظاهرين[46].

ومع ذلك، يبقى أهالي السويداء من ناشطين وغيرهم منقسمين حول مكانة ودور مشايخ العقل، وخاصة الهجري، ففي حين يرى البعض أن هذا التحول حقيقي ويحسب للهجري، يرى آخرون أنه يحمل في طياته أجندة غير ظاهرة، يسعى الهجري من خلالها لاستعادة مكانته وحضوره.

## القوى المحلية المسلحة في السويداء

ظهر أوّل الفصائل المسلحة في محافظة السويداء في العام 2012، عندما أسس الشيخ وحيد البلعوس حركة «رجال الكرامة»، وتكاثرت الفصائل على نحو لافت ابتداء من العام 2015، خاصة بعد اغتيال الشيخ البلعوس، وما تلاه من انقسامات وانشقاقات عصفت بحركة «رجال الكرامة».

أما الميليشيات المحلية المدعومة من النظام السوري، فقد بدأ ظهورها منذ العام 2011، وكان معظمها يتبع -بشكل مباشر أو غير مباشر- إلى الأجهزة الأمنية، وخاصة فرع المخابرات العسكرية. وعلى الرغم من تبني كل الفصائل المسلحة مقولة «دم الدرزي على الدرزي حرام»، أي تحريم رفع السلاح بوجه أبناء المحافظة، فإن فائض القوة والسلاح والرغبة في التغلب على الخصوم، أدى في حالات كثيرة إلى اندلاع اشتباكات دموية بين الميليشيات.

### تُقسم الميليشيات في السويداء إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول منها يرعاه ويدعمه -بشكل مباشر أو غير مباشر- فرع مخابرات العسكرية، الذي ينسق مع الإيرانيين، عبر ميليشيا «حزب لله» اللبناني، ويتمركز معظمها جنوب غربي السويداء وجنوب شرقها، وأبرزها ميليشيا «مرعي الرمثان» المتمركزة في بلدة «الشعاب»، وتسند إليها مهام تهريب المخدرات إلى الأردن وترويجها في السويداء، بالتعاون مع ميليشيا «ناصر السعدي» التي تتخذ من مدينة صلخد مقرًا لها، إضافةً إلى ميليشيا «الدفاع الوطني»، وميليشيا «المقاومة الشعبية في السويداء»، وميليشيا «معتز مزهر» وميليشيا «القاهرون» الموجودتين في مركز مدينة السويداء.

والقسم الثاني من الميليشيات مجموعات مسلحة تتبنى مقاومة النفوذ الإيراني في محافظة السويداء، وتصطدم بين وقت وآخر بقوى أمن وميليشيات النظام السوري، ومنها فصيل «قوات شيخ الكرامة»، الذي يتزعمه «ليث البلعوس»، نجل الشيخ وحيد البلعوس مؤسس حركة رجال الكرامة.

للقتال خارج البلاد، الأمر الذي خلق شرخًا كبيرًا بين مشايخ العقل والمجتمع.

(46) احتجاجًا على سوء الأوضاع المعيشية وتردي الخدمات، تظاهر المئات من الناشطين والمدنيين في السويداء بتاريخ 2022/4/12، واقتحم عدد منهم مبنى المحافظة، وهتف بعض المتظاهرين بشعارات الثورة السورية الداعية لإسقاط النظام، وردّت قوات أمن النظام السوري بإطلاق النار على المحتجين، وتكررت الاحتجاجات في كانون الأول/ ديسمبر من نفس العام، وقُتل فيها متظاهر برصاص القوات الأمنية.

وقد برز الفصيل كقوة محلية تصدّت لفصائل مدعومة من النظام السوري، ومن ذلك دورها في مواجهة ميليشيا «حركة قوات الفجر» التابعة لشعبة المخابرات العسكرية، ونجحت -بالتعاون مع عدد الفصائل الأخرى أبرزها حركة رجال الكرامة، ولواء جبل الكرامة وقوة مكافحة الإرهاب، وبمساندة أهلية- في اقتحام مقار«حركة قوات الفجر»، بزعامة المدعو راجي فلحوط، والقضاء عليها في تموز/ يوليو 2022.

وبرزت في السنوات الأخيرة مجموعات مسلحة مقربة أو تابعة لحزب اللواء السوري، الرافضة للوجود والتمدد الإيراني، حيث تعتبر ميليشيا «قوة مكافحة الإرهاب» الذراع العسكري لحزب اللواء السوري[47]، واشتبكت مع ميليشيات تابعة لفرع المخابرات العسكرية، في عدة مواقع، كان آخرها التصدي للهجوم على بلدة «خازمة» للقضاء على قائد ميليشيا «قوة مكافحة الإرهاب»، ودارت اشتباكات عنيفة بين الطرفين، انتهت بانسحاب عناصر قوة مكافحة الإرهاب من البلدة تجاه قاعدة التنف، لتقع العناصر في كمين محكم أدى إلى مقتل قائدها «سامر الحكيم»، واعتقال 8 عناصر تتبع للقوة. وعلى الرغم من مقتل «الحكيم» وملاحقة العناصر التابعة له، لم يتمكن الأمن العسكري من القضاء على قوة مكافحة الإرهاب، ونجحت الأخيرة في التقارب مع فصيل «قوات شيخ الكرامة».

القسم الثالث من الميليشيات عدد من المجموعات التي تتبنى الحياد، وفي مقدمتها فصيل حركة «رجال الكرامة»، وبرزت في الآونة الأخيرة ميليشيا «لواء جبل الكرامة»، التي ينضوي ضمنها عدد من الميليشيات المحلية، وقد شاركت هذه الميليشيا بشكل فعال في القضاء على «حركة قوات الفجر»، وساهمت في القضاء على ميليشيا «بيرق قوات الفهد» التي تتخذ بلدة «قنوات» مقرًا لها، ويتزعمها المدعو سليم حميد، وهي مجموعة مقربة من ميليشيا «حركة قوات الفجر».

### فصيل حركة رجال الكرامة

يعتبر من أكبر الفصائل في المحافظة، وأكثرها تنظيمًا وامتلاكًا للعتاد العسكري، وينتشر في معظم مناطق محافظة السويداء، ويتبنى الفصيل شعار «حماية الأرض والعرض والدين».

وتأسست حركة «رجال الكرامة» في نهاية العام 2013، على يد عدد من رجال الدين في بلدة المزرعة، وأُطلق على الحركة بداية، اسم «مشايخ الكرامة»، وسرعان ما تمددت الحركة إلى مدن السويداء وشهبا وصلخد وعدد من القرى، وساهم تمويلها الذاتي في تمتعها باستقلالية القرار والجرأة على تبني خط رفض موالاة النظام السوري وأجهزته الأمنية في المحافظة، حيث أعلنت الحركة، في اجتماعها التأسيسي في أيار/ مايو 2014، انتخاب الشيخ وحيد البلعوس قائدًا لها، وتبني خطاب معاد لسياسات فرع الأمن العسكري ورئيسه آنذاك العميد وفيق ناصر، ووجهت إليه تهمًا بالفساد والعمل على تفكيك المجتمع المحلي، ما أدى إلى تبنى مشايخ العقل موقفًا معاديًا من الحركة وقائدها الشيخ وحيد البلعوس.

وبعد اغتيال وحيد البلعوس في العام 2015، تسلّم شقيقه رأفت البلعوس قيادة الحركة، قبل أن يتنازل عنها للشيخ يحيى الحجار، لأسباب صحية. وباتت الحركة أبرز الفاعلين المحليين بعد تصديها لهجمات تنظيم (داعش)، في منتصف العام 2018، ومساهمتها الفاعلة في إفشال هجوم (داعش) على المناطق الشرقية من السويداء، بدعم من جيش النظام السوري.

(47) حزب اللواء السوري: حزب سياسي أطلقه مجموعة من الناشطين والسياسيين المعارضين للنظام السوري، عام 2021، وأعلنه الإعلامي مالك أبو الخير، يسعى لتمثيل طائفة الدروز، وأعلن أن له جناحًا مسلحًا، باسم «قوة مكافحة الإرهاب». للمزيد انظر: https://orient-news.net/ar/news_show/191300 .

وشهدت الحركة في الآونة الأخيرة حالات انشقاق متكررة للعديد من العناصر والمجموعات، بذريعة ابتعادها عن هدفها الرئيس، واتباع قائدها الشيخ «يحيى الحجار» سياسة المهادنة تجاه النظام السوري، ويتهمه عناصر في الحركة بالتنسيق الدائم مع «كفاح الملحم»، رئيس شعبة المخابرات العسكرية.

كما ساهمت حركة رجال الكرامة في الإفراج عن العديد من المعتقلين لدى الأجهزة الأمنية، بالتفاوض غالبًا[48]، وفي مرات أخرى، لجأت إلى عمليات خطف عناصر من جيش وقوات أمن النظام، أو عناصر تابعين لميليشيات مدعومة من إيران أو حزب الله، بقصد مبادلتهم بموقوفين ومعتقلين لدى أجهزة أمن النظام السوري.

شكل (3) مواقع انتشار الفصائل المحلية في السويداء

(48) تدخلت حركة رجال الكرامة»، أكثر من مرة، في مفاوضات مع النظام السوري، في واحدة منها ساهمت في إطلاق سراح ثمانية معتقلين من أهالي السويداء، لدى أجهزة أمن النظام، كانت قد اعتقلتهم في أعقاب الهجوم على قرية خازمة جنوب السويداء، للمزيد، انظر: حركة «رجال الكرامة» تفاوض النظام على ثمانية معتقلين من قرية خازمة بالسويداء، شبكة شام، 2023، https://cutt.us/T0l0r . آخر زيارة بتاريخ: 2023/4/11.

## خامسًا: حياد السويداء ومسألة الامتناع عن الخدمة العسكرية

شكلت مسألة حياد السويداء في الصراع الدائر في سورية، وتبني قرارعدم مشاركة أبناء المحافظة في معارك النظام ضد الفصائل المعارضة، سببًا مباشرًا في تأزم العلاقة بين قواها وفعالياتها مع النظام السوري، في حين رحّبت قوى المعارضة السورية بهذا الموقف، واعتبرته إيجابيًا وضامنًا لعدم تورط أبناء السويداء في جرائم النظام السوري ضد السوريين في المناطق الثائرة.

وفي كل أزمة تنشب في المحافظة، يبرز مطلب حل ملف المتخلفين من أبناء السويداء عن الخدمة الإلزامية والاحتياط في جيش النظام السوري. وبحسب إحصائيات غير رسمية، يقدر ناشطو السويداء عدد أبناء المحافظة المتخلفين عن الخدمة العسكرية بنحو 40 ألف مطلوب، ولم تفلح محاولات النظام السوري حتى اليوم في الاتفاق مع فعاليات المحافظة على حلّ للملف، وذلك لثبات الطرفين على موقفهما.

وكانت آخر محاولة للنظام السوري لإقناع القوى المحلية في السويداء بعودة أبناء المحافظة إلى الخدمة العسكرية، في العام 2018، واستمر تعليق الملف دون حل حتى اليوم، في ظلّ خشية النظام السوري من استخدام الوسائل العنفية لإجبار شبان السويداء المتخلفين على الالتحاق بالجيش السوري، للأسباب التي سبق تفصيلها.

## سادسًا: مشروع الإدارة الذاتية في السويداء

خلال السنتين الأخيرتين، برزت أصوات في محافظة السويداء تدعو لإقامة إدارة ذاتية، على غرار تلك الموجودة في شمال شرق سورية وتهيمن عليه ميليشيا قوات سوريا الديمقراطية «قسد».

وتعتبر منظمة «السويداء أولًا» من المنظمات والأحزاب التي دعت لتطبيق الإدارة الذاتية في السويداء، وعلى الرغم من نفي الناطق باسمها «مروان مداح» وجود مؤشرات عن إدارة ذاتية في السويداء، فإنه أكّد وجود قوى سياسية في المحافظة تدعو وتنظّم لأجل تشكيل إدارة ذاتية، فضلًا عن الأفراد الداعين إلى ذلك[49].

وتتهم شخصيات سياسية في السويداء وفي الخارج «حزب اللواء السوري»، بالدعوة والترويج لفكرة إقامة إدارة ذاتية في السويداء، رغم إنكار الأمين العام للحزب «مالك أبو خير» أن يكون حزبه يعمل على إقامة المشروع[50].

أمّا عن ميليشيا «قوة مكافحة الإرهاب»، فهي تعمل بالتنسيق مع فصيل جيش مغاوير الثورة وقاعدة التنف، وبدا ذلك واضحًا بعد أن سلّمت الميليشيا أحد المتورطين بتجارة المخدرات والمتعامل مع ميليشيا حزب الله اللبناني إلى جيش مغاوير الثورة المدعوم من الولايات المتحدة الأميركية، ما يوحي بأن الولايات المتحدة ترحب بالتنسيق بين قوى وفصائل من السويداء مع ميليشيا «قوات سوريا الديمقراطية، وفصيل «جيش مغاوير الثورة»، المدعومين من قبل القوات الأميركية في سورية.

ومع تراجع قوة ودور حزب اللواء السوري وذراعه العسكري، تراجع الحديث عن مشروع إقامة إدارة ذاتية في السويداء، خاصة مع رفض غالبية القوى السياسية والفصائل المسلحة في السويداء للمشروع الذي تعتبره محاولة تهدف إلى تقسيم الوطن والشعب السوري، وجاءت الاحتجاجات الأخيرة في محافظة السويداء لتؤكد ذلك، حيث أعلن المحتجون رفضهم أي شكل من أشكال التقسيم، وتمسكهم بوحدة التراب السوري، وبالحل السياسي الذي يحافظ على وحدة الأرض والشعب بعيدًا عن أي منطق طائفي أو قومي.

(49) للمزيد انظر: الإدارة الذاتية في السويداء.. إلى أين وصلت وما هي معوقات تنفيذها؟، موقع وكالة أنباء هاوار، https://www.hawarnews.com/ar/haber/---h54055.html تاريخ الزيارة 2023/2/21

(50) قبل إعلان تشكيل حزب اللواء وميليشيا «قوة مكافحة الإرهاب» التابعة له، بفترة وجيزة، كشفت مصادر إعلامية في السويداء عن طرد أهالي بلدة خازمة في ريف السويداء الجنوبي الشرقي عددًا من المقاتلين الكرد، من عناصر ميليشيا قوات سوريا الديمقراطية، أتوا برفقة عائلاتهم لإقامة معسكر لتدريب مقاتلين دروز من أبناء المنطقة، وكان «سامر الحكيم» القائد السابق لميليشيا قوة مكافحة الإرهاب هو من استقبل المقاتلين، وأقام المعسكر التدريبي، ولم ينف «مالك أبو خير» الأمين العام لحزب اللواء السوري، في مقابلة صحفية مع موقع العربي الجديد، حقّ أهالي السويداء في ما يخص الفيدرالية أو الإدارة الذاتية، لكنه استطرد أن الطرحين ليسا حاليًا ضمن حسابات حزبه. للمزيد انظر: حراك سياسي وعسكري في السويداء: استنساخ تجربة «الإدارة الذاتية»؟، موقع العربي الجديد، https://cutt.us/oqhzd تاريخ الزيارة 2023/2/16.

# خاتمة

على الرغم من أن السويداء لم تسجّل مشاركة قوية في الحراك الاحتجاجي الثوري الذي انطلق في آذار/ مارس 2011، فإنها سجلت موقفًا حاسمًا رافضًا لانخراط أبنائها في دعم حملات النظام السوري العنيفة ضد المناطق الثائرة، قبل أن تتصاعد وتيرة الاحتجاجات في السويداء أخيرًا ابتداء من منتصف آب/ أغسطس 2023، على خلفية الأزمة الاقتصادية وتدهور مستويات المعيشة، وبدا لافتًا أن الاحتجاجات هذه المرة حملت شعارات بمطالب سياسية، تشدد على ضرورة الحل السياسي وفق القرار 2254، ورحيل النظام، في دلالة واضحة على أن فئات المترددين وبعض حاضنة النظام قد بدأت تنفضّ عنه، ما يضع النظام السوري أمام اختبار جدي لخياراته في التعامل مع حراك السويداء الشعبي، في ظل عجزه حتى الآن عن قمع انتفاضة أبناء السويداء، وانعدام قدرته على تلبية مطالبها التي تمثل مطالب السوريين، ويوضح عمق حالة الاستعصاء السوري.

أسفر الانقسام المجتمعي في السويداء، بين مؤيد للنظام السوري ومعارض له، عن تبني موقف الحياد، الذي عاقبها عليه النظام السوري بإهمال خدمي، والتأسيس لحالة فوضى أمنية، أدّت إلى تردي الأوضاع المعيشية، وإلى هجرة واسعة لأبناء المحافظة، وانتشار ظواهر التسول وعمالة الأطفال والجرائم والسرقات، وانتشار تجارة وتهريب المخدرات، برعاية مباشرة من النظام السوري والميليشيا المدعومة من إيران.

ومع أن النظام السوري امتنع عن استخدام التكتيكات العنفية في قمع موجات الحراك الاحتجاجي في السويداء، فإنه اعتمد في تكريس سياسته العقابية لمحافظة السويداء على ترك أبنائها بمواجهة تنظيم «داعش» الذي هاجم قرى المحافظة بدموية في العام 2018، كما عمل النظام على تأسيس ميليشيات محلية، أطلق يد عناصرها في ملاحقة الناشطين وارتكاب الانتهاكات والجرائم، لترهيب المعارضين والأهالي، متجنبًا الصدام المباشر بين قواته العسكرية والأمنية ومجتمع السويداء.

وساهمت الشخصيات الدينية، ممثلة بمشايخ العقل، إلى جانب وجهاء محليين، في تخويف المجتمع من عواقب الانحياز إلى الثورة ومواجهة عنف النظام، وتهديد وجود الطائفة الدرزية، ما تسبب في تراجع مكانة مشيخة عقل الطائفة، نتيجة فقدان ثقة كثير من أهالي السويداء بسلامة موقفها، دون أن تستفيد قوى المعارضة من هذا الوضع المستجد، بسبب افتقارها إلى قادة يتمتعون بحضور قوي، وبسبب ضعف التنسيق بين القوى والشخصيات الشبابية المنحازة للثورة.

وبالرغم من الحضور القوي للفاعلين الدوليين (روسيا – أميركا)، في الصراع السوري، فإنهما تركا ساحة السويداء لمحاولات إيران وميليشياتها مد نفوذهما أكثر في الجنوب السوري، وللاحتلال الإسرائيلي محاولة التأثير في مجتمع السويداء عبر المرجعية الدينية الدرزية في الجولان المحتل، المقربة من دولة الاحتلال.

ومن غير المرجح أن تتغير سياسة النظام السوري في التعامل مع محافظة السويداء، حيث إن نهجه في إبقاء حالة الفوضى الأمنية وإشغال مجتمع السويداء وقواه المختلفة بأزمات الأمن والمعيشة وترهيبهم بالميليشيات التابعة له، يشكل ضمانة للنظام لتحييد المحافظة في صراعه مع قوى

المعارضة والثورة السورية، ريثما يتغير الوضع الداخلي والإقليمي والدولي، ويتمكن من استعادة السيطرة كاملة على المحافظة، والتخلص من القوى غير الموالية له فيها.

أفرزت الأزمات المتلاحقة بين الطائفة الدرزية وأنظمة الحكم في سورية مناخًا من عدم الثقة المتبادلة، بالرغم من تأكيد أبناء السويداء المتكرر تمسّكهم بانتمائهم إلى الدولة السورية، وساهم الصراع المستمر في سورية منذ أكثر من 11 عامًا في صعود الهويات الفرعية، لدى جميع مكونات الشعب السوري، ولدى الدروز بطبيعة الحال، ومن دون التوصّل إلى حل سياسي عادل ومستدام في سورية، يؤسس لدولة المواطنة والحريات والمساواة وسيادة القانون، فلن تزول مسببات انقسام المجتمع السوري وتمسّك كل مكون فيه بهويته الخاصة، والسعي لحمايتها على حساب الوطنية الجامعة.

**مركز حرمون للدراسات المعاصرة**

Harmoon Center for Contemporary Studies

Harmoon ArŞtırmalar Merkezi

Doha, Qatar: Tel. (+974) 44 885 996

Istanbul, Turkey: Tel. +90 (212) 813 32 17 PO.Box: 34055
Tel. +90 (212) 542 04 05

www.harmoon.org